مِنْ أسفارِ صلواتٍ مُستدرَكةٍ مِنَ القرآنِ العظيمِ



الشيخ محمد المصطفى ابن الصالح الشرفي

حقيقة الطينة الآدمية

اعتمد في هذا السفر على مخطوط الخزانة الحسنية رقم: 7882

الأرقام ذات اللون الأحمر الموجودة في النص
تشير إلى أرقام الصفحات الأصلية في المخطوط


من أسرار صلوات مستدركة
من القرآن العظيم
ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج
حقيقة الطينة الآدمية


بسم الله الرحمن الرحيم ● وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي فطر الطينة الآدمية المقدسة
المرضية على سائر ذرات الأنام ● وشرف صورتها المكرمة
النقية على سائر الأجسام ● وقبض قبضتهما من سائر الأرض
والجبال الشامخة العظام ● وخمرهما بماء السر والخصوصية
الذي لم تعقد أبصار عوالم الحروفية ولم تكشفه الأفكار والأفهام ●
وأسكنهما في سماء الغيب والمحبوبية وجمع فيهما ما افترق وجـ
ـمع غيرهما من الفضائل والفواضل التي تحار فيهما العقول وتقصر عن مدارك
حقائقهما الألباب والأفهام ● وأخرجهما من أنوار سبحاته وأسرار
تنزلاته بما أشار إليه الذي يعضد الحجة بذلك الأعلام ● في تقييده قوله
تعالى

فاتحة كتاب الذخيرة ـ سفر حقيقة الطينة الآدمية


ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَءَالِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ الطِّينَةَ الآدَمِيَّةَ المُقَدَّسَةَ المَرْضِيَّةَ عَلَى سَائِرِ الأَنَامِ، وَشَرَّفَ صُورَتَهَا المُطَهَّرَةَ النَّقِيَّةَ عَلَى سَائِرِ الأَجْسَامِ، وَقَبَضَ قَبْضَةَ تُرْبَتِهَا مِنَ الأَرْضِينَ وَالجِبَالِ الشَّامِخَةِ العِظَامِ، وَخَمَّرَهَا بِمَاءِ السِّرِّ وَالخُصُوصِيَةِ الَّذِي لَمْ تَرْمُقْهُ أَبْصَارُ عَوَالِمِ الحُدُوثِيَةِ وَلَمْ تَطَأْهُ الأَقْدَامُ، وَأَسْكَنَهَا فِي سَمَاءِ القُرْبِ وَالمَحْبُوبِيَةِ وَجَمَعَ فِيهَا مَا افْتَرَقَ فِي غَيْرِهَا مِنَ الفَضَائِلِ وَالفَوَاضِلِ الَّتِي تَحَارُ فِيهَا العُقُولُ وَتَقْصُرُ عَنْ مُرَادِ حَقَائِقِهَا الأَفْهَامُ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ أَنْوَارِ سُبُحَاتِهِ وَأَسْرَارِ تَنَزُّلَاتِهِ كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ الجَهَابِذَةِ الأَعْلَامِ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (1)

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾،

أَيْ: عَرَضْنَاهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ مُفْرَدَةً وَعَلَى الأَرْضِ مُفْرَدَةً وَعَلَى الجِبَالِ مُفْرَدَةً فَضَعُفَتْ تِلْكَ الأَفْرَادُ عَنْ حَمْلِهَا فَحَمَلَهَا ءَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِكَوْنِ طِينَتِهِ مَجْمُوعَةً مِنْ مَعَادِنِ تِلْكَ المَوَاطِنِ السَّنِيَّةِ السَّامِيَةِ وَمَوَاهِبِهَا الجِسَامِ،

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ لَبِنَةِ التَّمَامِ، وَمِسْكِ الخِتَامِ، وَإِمَامِ طَيْبَةَ وَالحَرَامِ وَعَلَى ءَالِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَصَحَابَتِهِ نُجُومِ الاهْتِدَاءِ وَمَصَابِيحِ الظَّلَامِ، صَلَاةً دَائِمَةً لَا انْقِضَاءَ لَهَا وَلَا انْصِرَامَ، تَتَوَالَى عَلَى ضَرِيحِهِ المُنَوَّرِ عَلَى مَمَرِّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَتَعُودُ بَرَكَتُهَا عَلَيْنَا بِبُلُوغِ القَصْدِ وَنَيْلِ المَرَامِ.

أَمَّا بَعْـدُ،

فَإِنِّي لَمَّا تَكَلَّمْتُ فِي السِّفْرِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا عَلَى مَعْنَى البَسْمَلَةِ وَالفَاتِحَةِ وَفَضَائِلِهِمَا المَرْوِيَّةِ فِي الكُتُبِ المُسَطَّرَةِ، وَخَصَائِصِهِمَا وَخَوَاصِّهِمَا المَتْلُوَّةِ عَلَى الأَلْسُنِ المُكَرَّرَةِ، وَعَلَى مَعَانِي الحُرُوفِ وَشَكْلِ النُّقْطَةِ وَمَوَادِّ إِمْدَادَاتِ حُرُوفِهِمَا السَّارِيَةِ (2) فِي عَوَالِمِ الأَرْوَاحِ وَالأَشْبَاحِ المُقَرَّرَةِ، أَرْدَفْتُ ذَلِكَ فِي هَذَا السِّفْرِ بِالكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الطِّينَةِ الآدَمِيَّةِ المُطَهَّرَةِ، الَّتِي خَضَعَتْ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ لِطَاءِ طَاعَتِهَا المُقَدَّسَةِ المُنَوَّرَةِ، وَلَوَامِعِ ءَايَاتِهَا المُقَدَّمَةِ فِي بِسَاطِ العِزِّ المُصَدَّرَةِ، وَسُجُودِ المَلَائِكَةِ لَهَا امْتِثَالاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُمُ العَلِيِّ وَامْتِنَاعِ اللَّعِينِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وَصَحِيحِ الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ المُحَرَّرَةِ، وَقَدْ غَلِطَ المَلْعُونُ فِي قِيَاسِهِ الفَاسِدِ حِينَ أُمِرَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَامْتَنَعَ وَقَالَ:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾،

وَلَمْ يُلَاحِظْ فِيهِ مَا خَلَّقَهُ بِهِ مَوْلَاهُ مِنْ جَمِيلِ الأَخْلَاقِ وَصَوَّرَهُ، لَكِنَّ الشَّقَاوَةَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنَ المُخَالَفَةِ الَّتِي قَضَى اللهُ عَلَيْهِ بِجَعْلِهَا فِي سَابِقِ الأَزَلِ وَقَدَّرَهُ، وَلَوْ أَشْفَقَ الظَّالِمُ عَلَى نَفْسِهِ وَرَأَى مَا رَأَتِ المَلَائِكَةُ فِي وَجْهِ ءَادَمَ لَوَقَفَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾،

وَاعْتَبَرَ فِي حَقِيقَةِ مَعْنَاهَا القُدْسِيِّ وَتَدَبَّرَهُ، وَعَرَفَ أَيْنَ حَقِيقَةُ النَّارِ المَخْلُوقِ مِنْهَا جِسْمُهُ الَّتِي شَرَارَةٌ مِنْ شَرَرِهَا تُحْرِقُ عَالَمَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَبَدَ اللهَ بِخَالِصِ الإِيمَانِ وَذَكَرَهُ، (3) مِنْ حَقِيقَةِ الطِّينَةِ المَقْبُوضَةِ قَبْضَتُهَا مِنْ لَطَائِفِ العِزَّةِ وَمَخْلُوقِ يَدِ الصِّفَةِ الخَاصَّةِ بِقَوْلِهِ:

﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾،

وَمَسْقَطِ الأَرْوَاحِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ تَجَلِّي القُدْسِ بِقَوْلِهِ:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾،

الَّذي أَخْفَى الحقُّ سِرَّهُ فِي عَالَم الغَيْب وَسَتَرَهُ وَذَاكَ مَحلُّ العُبُودِيَةِ الخَالِصَةِ المُؤَيَّدَةِ بالتَّوَاضُعِ وَالخَشْيَةِ وَالخُضُوعِ وَالخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ، وَالخُشُوعِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرَّغْبَةِ وَمَنْبتُ أَجْسَامِ الأَنْبِياءِ وَالرُّسُلِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ البَرَرَةِ، وَمَنْبتُ أَغْذِيَةِ الخَلاَئِقِ وَلِمَنْ تَأَمَّلَ بِعَيْنِ الفِكْرِ فِي جُمْلَةِ عَالَمِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَأَمْعَنَ نَظَرَهُ، وَتِلْكَ النَّارُ المَخْلُوقُ مِنْهَا إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ هِيَ الَّتِي يُجَازِي بِهَا اللهُ مَنْ خَلَقَهُ نَارِيًا مِثْلَهُ لأَنَّ قُوَّتَهُ مِنْ أَصْلِهَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ غِذَاهُ حَتَّى انْسَحَبَتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَعَلَى جُيُوشِهِ الكَفَرَةِ الفَجَرَةِ، فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَمْ يَسْلُكْ طَرِيقَ القِيَاسِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَابْتَكَرَهُ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّينَا مِنْ (4) فِتْنَتِهِ الَّتِي نَهَى الشَّارِعُ المَرْءَ عَنِ الوُقُوعِ فِي مَهَاوِيهَا وَحَذَّرَهُ وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِ بِنُورِ التَّأْيِيدِ وَالإِلْهَامِ وَقَهَرَهُ وَانْتَصَرَ عَلَيْهِ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مَوْلاَهُ مِنَ العَمَلِ بِمُقْتَضَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَزَجَرَهُ، ءَامِينَ، ءَامِينَ، ءَامِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

فَأَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الإِشَارَةِ فِي هَذَا المَعْنَى الرَّائِقِ الأُسْلُوبِ وَالعِبَارَةِ، اعْلَمْ أَيُّهَا المُحِبُّ العَاقِلُ اللَّبِيبُ، الغَائِصُ فِي بُحُورِ المَعَانِي عَلَى كُلِّ عِلْمٍ رَائِقٍ وَفَنٍّ غَرِيبٍ، أَنَّ هَذِهِ الطِّينَةَ الآدَمِيَّةَ، وَالجَوْهَرَةَ المُضِيئَةَ الدُّرِّيَةَ، المُسْتَخْرَجَةَ مِنْ لَطَائِفِ الأَسْرَارِ وَالمَوَاهِبِ وَخَالِصِ العُبُودِيَّةِ، المَطْبُوعَ عَلَيْهَا بِطَابَعِ القُرْبِ وَالمَحْبُوبِيَّةِ، المَخْلُوقَةَ مِنْ صَفَاءِ نُورِ الذَّاتِ وَأَشِعَّةِ الأَنْوَارِ السُّبُوحِيَّةِ، المَكْتُوبَ عَلَيْهَا بِقَلَمِ القُدْرَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَحِكْمَةِ مَشِيئَةِ الإِرَادَةِ اللاَّهُوتِيَّةِ،

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾،

يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامَ الحَضْرَةِ الرَّسُولِيَّةِ، وَسِرَّ الخَلِيقَةِ المُكَرَّمَةِ النَّاسُوتِيَّةِ، كَانَتْ شَكْلَةً مَرْسُومَةً فِي عَوَارِضِ (5) الإِمْكَانِ، وَلَطِيفَةً مَخْبُوءَةً فِي عَمُودِ الكَشْفِ وَالبَيَانِ، وَنُقْطَةً يَسْرِي سِرُّهَا فِي عَوَالِمِ الأَرْوَاحِ وَالأَشْبَاحِ سَرَيَانَ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ، وَمَوْهِبَةً أُنْشِئَتْ مِنْ نُورِ حَبِيبِ الرَّحْمَانِ، وَعَرُوسَ فَرَادِيسِ الجِنَانِ، سَيِّدُنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَبْرَزَ الحَقُّ صُورَتَهَا لِلْوُجُودِ، وَجَعَلَهَا بَذْرَةً لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَأَظْهَرَ فِيهَا مَا كَانَ كَامِنًا مِنْ نُورِ حَبِيبِهِ الحَامِدِ المَحْمُودِ، صَاحِبِ الحَوْضِ المَوْرُودِ، وَاللِّوَاءِ المَعْقُودِ، لِتَحْيَى بِحَيَاتِهِ، وَتَقُومَ

بُنْيَتُهَا بظُهُور ذَاتِه، وَتَثْبُتَ حَقَائِقُهَا بِسِرِّ كَلِمَاتِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالاتِه، لِمَا تُشَاهِدُ فِيهِ مِنْ جَمَالِ الأُلُوهِيَّةِ، وَجَلالِ العَظَمُوتِيَّةِ، وَنُورِ القَيُّومِيَّةِ وَعِزِّ الدَّيْمُومِيَّةِ، وَسِرِّ الرَّغَبُوتِيَّةِ وَالرَّهَبُوتِيَّةِ، وَكَمَالِ العِنَايَةِ القُدُّوسِيَّةِ، وَمَوَاهِبِ الأَسْرَارِ المُلْكِيَّةِ وَالمَلَكُوتِيَّةِ، وَمَفَاتِحِ خَزَائِنِ العُلُومِ الجَبَرُوتِيَّةِ الرَّحَمُوتِيَّةِ، لأَنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَمَجْمَعُ مَعَانِي عُلُومِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَبَحْرُ مَوَاهِبِ جُودِهِ وَعَطَائِهِ (6) وَسِرَاجُ أَقْطَابِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَنُورُ بَصِيرَةِ أَتْقِيَائِهِ وَكُرَمَائِهِ، وَفَاتِحَةُ فَوَاتِحِ عُلَمَائِهِ وَأَذْكِيَائِهِ، وَخُلاصَةُ خَوَاصِّ أَصْفِيَائِهِ وَأَحْظِيَائِهِ فَهُوَ النُّورُ السَّابِقُ الأَوَّلُ، وَعُنْصُرُ الشَّرَفِ البَاذِخِ وَالمُؤَصَّلِ، وَالمَجْدِ الشَّامِخِ المُؤَثَّلِ، فَلاَ يَرَاهُ أَحَدٌ إِلاَّ وَيَرَى نُورَ الحَقِّ تَعَالَى يَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ وَغُرَّةِ جَبِينِهِ، وَظَهِيرُ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ يُبَشِّرُ بِتَقْدِيمِهِ فِي بِسَاطِ العِزَّةِ وَتَعْيِينِهِ، وَعُنْوَانُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَالدَّلالَةِ يَشْهَدُ بِطَاعَتِهِ وَكَمَالِ دِينِهِ، وَكِتَابُ اللهِ يُخْبِرُ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى سَائِرِ الخَلِيقَةِ الإِنْسَانِيَةِ وَرُسُوخِ قَدَمِهِ فِي مَوَاطِنِ الإِمَامَةِ العُظْمَى وَتَمْكِينِهِ، وَزُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا وَمَأْلُوفَاتِهَا يُنْبِئُ بِصِدْقِ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ وَخَالِصِ يَقِينِهِ، وَمُنَادِي الخُصُوصِيَّةِ يُنَادِي هَذَا الَّذِي عُقِدَتْ لَهُ أَلْوِيَةُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى قَبْلَ إِنْشَائِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَخُصَّ بِالمَقَامِ المَحْمُودِ وَالوَسِيلَةِ وَالفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَأُعْطِيَ لِوَاءَ الحَمْدِ بِيَمِينِهِ، هَذَا الَّذِي جَرَى نُورُ اسْمِهِ فِي كُلِّ حَرْفٍ لَمْ يَكْتُبْهُ قَلَمٌ، وَسَرَى سِرُّهُ فِي كُلِّ مَعْنًى لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ رَسُولٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ مَلَكٌ مُلْهَمٌ، سِوَى مَنِ اخْتَصَّهُ اللهُ بِفَهْمِ رُمُوزِهِ وَالمُخْتَرَعَاتِ، (7) وَشَرَّفَهُ بِهَا عَلَى سَائِرِ الجُزْئِيَّاتِ وَالكُلِّيَّاتِ وَالعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ وَجَمِيعِ المُتَنَوِّعَاتِ، فَنَادَاهُمْ مُنَادٍ

وَعُلُومُ وَحْيِ إِلْهَامِهِ وَتَبْيِينِهِ، وَالسِّرُّ البَاطِنُ المُكْتَتَمُ وَالعِلْمُ المَخْزُونُ فِي صَفَحَاتِ اللَّوْحِ المُرْتَسَمُ، وَالكَنْزُ المَخْبُوءُ فِي لَطَائِفِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ وَحُرُوفِ المُعْجَمِ، وَنُورُ الحَقِّ الَّذِي أَضَاءَ الكَوْنُ بِلَوَامِعِ تَحْسِينِهِ وَتَزْيِينِهِ.

طَـــــــهَ إِمَامُ الأَنْبِيَا ❖ وَأَعَـــزُّ مَنْ وَفَّى ذِمَامَهْ
وَأَجَلُّ مَنْ لَبِـــسَ النِّعَالَ ❖ وَخَيْرُ مَنْ لاَثَ العِمَامَـــهْ
وَلَهُ إِذَا جُمِعَ الـــــوَرَى ❖ فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ الإِمَامَهْ

وَلَهُ الشَّفَاعَةُ وَالوَسِيلَـــةُ ❖ وَالفَضِيـــلَةُ وَالكَرَامَــــهْ
وَلَهُ مَقَامُ الحَمْدِ يَحْمَـــدُ ❖ فِيهِ مَنْ أَسْمَـــى مَقَامَهْ
فَيَقُولُ سَلْ تُعْطَهْ وَقُـــلْ ❖ تُسْمَعْ وَيُولِيهِ احْتِرَامَــــهْ

لَوَائِحُ أَنْوَارِ سِيَادَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ، وَمَظَاهِرُ أَسْرَارِ مَجَادَةٍ أَحْمَدِيَّةٍ، وَقُدُومُ نَسْمَةٍ مُصْطَفَوِيَّةٍ نَبَوِيَّةٍ مَوْلَوِيَّةٍ.

كَانَتِ الأَرْوَاحُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالأَجْسَامُ النُّورَانِيَّةُ تَنْتَظِرُ مَجِيئَهَا لِتَحْيَى بِرُؤْيَتِهَا حَيَاةً طَيِّبَةً زَكِيَّةً، وَتَعِيشُ فِي كَنَفِهَا (8) عِيشَةً رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، لِمَا تَحَقَّقَ لَهَا فِيهَا مِنْ مَوَاهِبِ الأَسْرَارِ وَالخُصُوصِيَّةِ وَالعُلُومِ اللَّدُنِيَّةِ، وَالفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالتَّنَزُّلَاتِ العِنْدِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَرْوَاحَ أَصْحَابِهِ الكِرَامِ، وَكُتَّابِ خَصَائِصِهِ وَشَمَائِلِهِ القَادَةِ الأَعْلَامِ، وَرُوَاةِ أَحَادِيثِهِ وَمَنَاقِبِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ الجَمَّةِ الجِسَامِ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَتِهِ وَمَوَالِيهِ وَحَشَمِهِ المَلْحُوظِينَ بِعَيْنِ التَّبْجِيلِ وَالإِعْظَامِ، وَأَقْرِبَائِهِ وَعَشَائِرِهِ وَالعُلَمَاءِ المُحَافِظِينَ عَلَى سُنَّتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَالأَعْرَافِ القَائِمِينَ بِشَرِيعَتِهِ أَتَمَّ قِيَامٍ، كَانَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي صَوَامِعِ النُّورِ، وَمَشَاهِدِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ، قَبْلَ إِيجَادِ المُكَوَّنَاتِ، وَانْدِرَاجِهَا فِي بُطُونِ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، تَنْتَظِرُ ظُهُورَهُ المَلْحُوظَ بِاليُمْنِ وَالبَرَكَاتِ، فَلَمَّا ظَهَرَ لَهَا فِي مَظَاهِرِ الأَنْوَارِ وَالتَّجَلِّيَاتِ، وَمَوَاطِنِ الجَلَالِيَاتِ وَالجَمَالِيَاتِ جَاءَتْ تَطْلُبُ مَا مَنَحَهُ مَوْلَاهُ مِنَ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى فِي المُذْنِبِينَ وَالعُصَاةِ، وَأَهْلِ الخَطَايَا وَالجَرَائِمِ وَالتَّبِعَاتِ، وَأَهْلِ الأَهْوَاءِ المُسْتَغْرِقِينَ فِي بُحُورِ الشَّهَوَاتِ وَالنَّوْمِ وَالغَفَلَاتِ، لِأَنَّ تِلْكَ خُصُوصِيَّةٌ اخْتَصَّهُ اللهُ بِهَا قَبْلَ تَكْوِينِ المُبْتَدَعَاتِ (9) وَالمُخْتَرَعَاتِ، وَشَرَّفَهُ بِهَا عَلَى سَائِرِ الجُزْئِيَّاتِ وَالكُلِّيَّاتِ وَالعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ وَجَمِيعِ المُتَنَوِّعَاتِ، فَنَادَاهُمْ مُنَادِي الحَقِّ، وَتُرْجُمَانُ لِسَانِ الصِّدْقِ، هَذَا نُورٌ أَشْرَقَ عَلَيْكُمْ هِلَالُهُ وَفَتْحٌ حَانَ زَمَانُهُ وَقَرُبَ حَالُهُ،

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَلَاحَ لَهُمْ لَائِحُ نُورِهِ المُحَمَّدِيِّ مِنْ أَلِفِ الوَاحِدِيَّةِ وَالأَحَدِيَّةِ، وَلَمَعَ لَهُمْ بَارِقُ سِرِّهِ الأَحْمَدِيِّ مِنْ نُقْطَةِ بَاءِ البَسْمَلَةِ المُشَرَّفَةِ العَلِيَّةِ، فَتَلَقَّفَتْهُ أَرْوَاحُهُمُ المُطَهَّرَةُ الزَّكِيَّةُ مِنْ حَضَرَاتِ غَيْبِ الغَيْبِ المُقَدَّسَةِ السَّنِيَّةِ، وَفَاضَتْ عَلَيْهِمْ بُحُورُ إِمْدَادَاتِهِ

الرَّسُولِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِمْ مَوَاهِبُ فُتُوحَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ المَوْلَوِيَّةِ، لأَنَّ كُلَّ فَضْلٍ ظَهَرَ فِي العَالَمِ الرُّوحَانِيِّ وَالإِنْسَانِيِّ فَمِنْهُ وَإِلَيْهِ، وَكُلُّ سِرٍّ فَشَا فِي الهَيْكَلِ النُّورَانِيِّ وَالظُّلْمَانِيِّ فَبِوَاسِطَتِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ،

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾،

أَوْ تَقُولُ أَنَّ أَرْوَاحَ أَهْلِ الصِّدِّيقِيَّةِ العُظْمَى وَخُدَّامَ الحُجُبِ وَالسُّرَادِقَاتِ وَالمَقَامِ الأَسْمَى، كَانَتْ طُيُورُهَا جِهَنَّمَ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي بَسَاتِينِ حِمَا اللَّهِ الأَحْمَى وَحَظَائِرِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ السَّامِي الأَسْمَى، فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ فِي مَظَاهِرِ (10) القُرْبِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ، وَهَامَاتِ الحُبِّ وَالاجْتِبَائِيَّةِ، نَادَاهُمْ مُنَادِي الأَسْرَارِ القُدُّوسِيَّةِ، وَشَاوُشُ بِسَاطِ الحَضْرَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ العِنْدِيَّةِ، هَذَا مَوْهِبَةُ المَلِكِ الحَقِّ وَحَبِيبُ اللَّهِ المَبْعُوثُ بِالرَّحْمَةِ لِلإِنْسِ وَالجِنِّ وَالأَمْلَاكِ وَجَمِيعِ الخَلْقِ، وَسَيَظْهَرُ فِي وَقْتٍ أَحْوَجَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَى مَنْ يَهْدِيهِمْ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مِنْهَاجٍ قَوِيمٍ، فَيَنْظِمُ الأُمُورَ، وَيَضْبِطُ حَالَ الجُمْهُورِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الزَّمَانُ زَمَانَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَفْرِيقِ السُّبُلِ، وَلَمْ يَظْهَرْ مَنْ يَصْلُحُ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَيُؤَسِّسُ هَذَا البُنْيَانَ، غَيْرُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَأَوَانٍ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ السِّيرَةَ الفَاضِلَةَ وَالسِّيَاسَةَ الكَامِلَةَ، الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَخَاصَّةِ الأَصْفِيَاءِ وَالأَحِبَّاءِ وَالأَوْلِيَاءِ، فَبِخُصُوصِيَّتِهِ بِذَلِكَ قَامَتْ حُجَّتُهُ وَتُيُقِّنَتْ رِسَالَتُهُ وَنُبُوَّتُهُ، وَعَمَّتِ الخَلَائِقَ دِلَالَتُهُ وَدَعْوَتُهُ وَسَرَتْ فِي ظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ مَوَاعِظُهُ وَحِكْمَتُهُ،

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَهَلُمُّوا لِتَقْتَبِسُوا مِنْ عُلُومِهِ وَحِكَمِهِ المُفِيدَةِ (11) وَتَلْتَمِسُوا بَرَكَةَ أَسْرَارِهِ وَخَصَائِصِهِ العَدِيدَةِ، وَتَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ الجَمِيلَةِ وَأَوْصَافِهِ الحَمِيدَةِ، وَتَقْتَدُوا بِسِيرَتِهِ الطَّيِّبَةِ المَرْضِيَّةِ، وَكَمَالَاتِهِ العِلْمِيَّةِ العَمَلِيَّةِ .

مُحَمَّدٌ المُصْطَفَى المَحْمُودُ مَشْهَدُهُ ❖ يَوْمَ الشَّفَاعَةِ فِي إِنْسٍ وَفِي جَانِّ
نَظِيرُهُ لَمْ يَكُنْ عَرَبٌ وَلَا عَجَمٌ ❖ وَلَا رَأَتْ مِثْلَهُ وَاللَّهِ عَيْنَانِ
لَوْلَا الشَّفَاعَةُ لَمْ تُعْرَفْ مَزِيَّتُهُ ❖ عِنْدَ الإِلَهِ غَدًا مَا بَيْنَ أَقْرَانِ

يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ يَا سِرَّ الوُجُــودِ وَيَا ❖ كَنْزَ التَّهَانِي لَنَا يَا عَيــنَ أَعْيَانِ

يَا أَكْمَلَ الخَلْقِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُـقٍ ❖ يَا أَرْفَعَ النَّــاسِ فِي قَدْرٍ وَفِي شَانِ

عَلَيْــكَ أَزْكَى صَلاَةِ اللهِ طَيِّبَةً ❖ مَا مَسَّ ذَيْلُ الصَّـبَا تِيجَانَ رَيْحَانِ

وَالآلُ وَالصَّحْــبُ وَالأَتْبَاعُ أَجْمَعِهِمْ ❖ مَا هَزَّ رَوْضُ الغَضَا أَرْدَانَ أَغْصَـانِ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الأَرْوَاحَ المُسْتَرْوِحَةَ بِرُوحِ اللهِ، المُسْتَهْتِرَةَ بِذِكْرِ اللهِ، الدَّالَّةَ عَلَى اللهِ، الدَّاعِيَةَ العِبَادَ إِلَى اللهِ، الجَائِلَةَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ، المُسْتَغْرِقَةَ فِي حُبِّ اللهِ، الغَائِبَةَ فِي جَمَالِ اللهِ، المُتَوَجِّهَةَ بِكُلِّيَتِهَا إِلَى اللهِ، كَانَتْ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي لَوَامِعِ أَنْوَارِ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفَوَاتِحِ السُّوَرِ الشَّاهِدَةِ (12) بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَحَبِيبُ اللهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا ظَهَرَ، وَأَشْرَقَ كَوْكَبُهُ فِي سَمَاءِ أُفُقِهِمْ وَزَهَرَ، اشْتَاقَتْ هَيَاكِلُهُمْ إِلَى لِقَائِهِ، وَغَابَتْ عُقُولُهُمْ فِي جَمَالِ طَلْعَتِهِ وَبَهَائِهِ، فَنَادَتْهُمْ هَوَاتِفُ الضَّمَائِرِ المُسْتَتِرَةِ بِسِتْرِ اللهِ وَكَمَائِنُ السَّرَائِرِ الرَّاغِبَةِ فِي رِضْوَانِ اللهِ، وَبَوَاعِثُ الأَشَائِرِ المُبَشِّرَةِ بِمَجِيئِهِ رَحْمَةً لِعِبَادِ اللهِ،

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾،

فَاصْبِرُوا صَبْرًا جَمِيلاً يَا أَهْلَ الشَّطَحَاتِ وَالجَذَبَاتِ وَقُولُوا قَوْلاً جَلِيلاً يَا أَهْلَ الطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَاحْمَدُوا اللهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً يَا أَهْلَ الفُتُوحَاتِ وَالتَّرَقِّيَاتِ وَالتَّدَلِّيَاتِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا امْتَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ ظُهُورِهِ بَيْنَ ظَهْرَانِكُمْ يَا أَهْلَ الأَرْوَاحِ الزَّكِيَّةِ وَالقُلُوبِ المُنَوَّرَاتِ وَالنُّفُوسِ المُطْمَئِنَّةِ وَالأَجْسَامِ المُطَهَّرَاتِ وَاثْبُتُوا فَمَا مَعْنَى الاِسْتِعْجَالِ، وَالمُبَادَرَةِ قَبْلَ وُصُولِ الوَقْتِ وَحُلُولِ الآجَالِ، فَإِنَّ فَضْلَ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِوَاسِطَتِهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَلاَ عَجَلَةٍ وَلاَ سُرْعَةِ حَرَكَةٍ وَلاَ نُقْلَةٍ، وَلاَ اعْتِكَافٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ خَلْوَةٍ وَلاَ بُكَاءٍ وَلاَ أَنِينٍ وَلاَ شَكْوَى، فَقَدْ وَعَدَكُمُ اللهُ مِنْ بَرَكَتِهِ بِذَلِكَ (13) وَأَرْشَدَكُمْ بِمَحَبَّتِهِ إِلَى أَحْسَنِ المَسَالِكِ، وَوَقَاكُمْ بِعِنَايَتِهِ مِنْ ءَافَاتِ التَّسْوِيفِ وَالبِطَالَةِ وَالمَهَالِكِ، وَقِفُوا فِي مَنَازِلِ الفَضْلِ وَالكَرَمِ، وَمَشَاهِدِ الفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالنِّعَمِ، حَتَّى يَأْتِيكُمْ حَاشِرُ الأُمَمِ، وَطَاهِرُ الخُلُقِ وَالشِّيَمِ، وَصَاحِبُ المَوْكِبِ وَالعَلَمِ، وَإِمَامُ طَيْبَةَ وَالحَرَمِ، وَمَاحِي الظُّلْمِ وَالظُّلَمِ، وَيَنْبُوعُ الحِلْمِ وَالعِلْمِ وَالحِكَمِ، وَسَيِّدُ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَرُكْنُ الدِّينِ المُسْتَلَمِ، وَرَفِيعُ الرُّتَبِ وَعَالِي الهِمَمِ، وَشَرِيفُ الأَعْرَاقِ الطَّيِّبُ المَبْدَإِ وَالمُخْتَتَمِ، وَمُعْتِقُ الذِّمَمِ وَحَامِي

الحُرُم، وَدَافِعُ البَلَايَا وَالأَسْوَاءِ وَالنِّقَم، وَالطَّبِيبُ الشَّافِي بِنَظْرَتِهِ العِلَلَ الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَةَ وَجَمِيعَ الأَلَم، وَالرَّسُولُ المَمْدُوحُ بِالخُلُقِ العَظِيم، فِي سُورَة:

﴿نٓ وَالقَلَمِ﴾. (14)

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ مَا بَاحَ عَاشِقٌ بِحُبِّهِ وَكَتَم، وَنَوَّهَ مُحِبٌّ بِقَدْرِهِ فَأَطْنَبَ فِي مَدْحِهِ وَنَثَرَ وَنَظَم، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين.

سَيِّدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ ❖ أَنْتَ يَا حَاشِرَ الأُمَمْ
فَاتِحٌ أَنْتَ خَاتِمٌ ❖ طِبْتَ فَتْحًا وَمُخْتَتَمْ
مُمْكِنُ الكَوْنِ وَاجِبٌ ❖ جَامِعُ العِلْمِ وَالحِكَمْ
ظَاهِرٌ أَنْتَ بَاطِنٌ ❖ مُعْلِنُ السِّرِّ مُكْتَتِمْ
أَوَّلٌ أَنْتَ ءَاخِرٌ ❖ وَاضِحُ النُّورِ فِي الظُّلَمْ
أَحْكُمْ اليَوْمَ مَا تَشَا ❖ كُلُّ مَنْ عَزَّ قَدْ حَكَمْ
يَا امَاذًا لِكُلِّ شَيْءٍ ❖ وَعِيَاذًا مِنَ النِّقَمْ
أَنْتَ لِلَّهِ مَظْهَرٌ ❖ بَيْتُهُ أَنْتَ وَالحَرَمْ
صَفْوَةُ اللَّهِ فِي الوَرَى ❖ أَنْتَ يَا طَاهِرَ الشِّيَمْ(15)
كَامِلُ الحُسْنِ وَالبَهَا ❖ أَنْتَ يَاعَالِيَ الهِمَمْ
عِصْمَةُ الخَلْقِ مَأْمَنٌ ❖ أَنْتَ يَا وَافِيَ الذِّمَمْ
طَيِّبٌ أَنْتَ طَاهِرٌ ❖ مَالِكُ المَجْدِ وَالكَرَمْ
نُخْبَةُ الرُّسْلِ مُقْتَفَى ❖ دُرَّةُ العُرْبِ وَالعَجَمْ
نَصْرَةٌ أَنْتَ نَاصِرٌ ❖ صَاحِبُ التَّاجِ وَالعَلَمْ
سَابِقٌ أَنْتَ سَائِقٌ ❖ رَاسِخُ العِزِّ وَالقَدَمْ
أَحْمَدُ أَنْتَ حَامِدٌ ❖ مَنْبَعُ الحَمْدِ وَالنِّعَمْ
يَا شَفِيعًا عَظِيمَ جَاهٍ ❖ يَا مَلَاذًا وَمُعْتَصَمْ
أَنْتَ لِلَّهِ رَحْمَةٌ ❖ شَمِلَتْ سَائِرَ الأُمَمْ
فَالخَلِيلُ بِكَ اسْتَغَاثْ ❖ فَرَأَى البَرْدَ فِي الضَّرَمْ
مِثْلُ نُوحٍ بِكُمْ نَجَا ❖ وَكَلِيمٌ وَمُلْتَقَمْ
أَشْرَفُ المَدْحِ كُلُّهُ ❖ لَكَ فِي نُونِ وَالقَلَمْ

وَثَنَـــا اللّهِ مُـعْـجِــزٌ ❖ كُـــلَّ نَثْرٍ وَمُنْتَظَـــمْ
وَصَـلاَةٌ عَلَيْـكَ مِـنْ ❖ خَالِـــقٍ بَارِئِ النَّسَـــمْ
وَسَـــلاَمٌ وَرَحْـــمَـــةٌ ❖ مَا بَدَا الْبَدْرُ فِـــي الظُّلَمْ
وَعَلَى الصَّحْبِ مَا بَكَى ❖ شَائِقُ الْبَيْتِ وَالْحَـرَمْ (16)

أَوْ تَقُولُ إِنَّ أَرْوَاحَ أَهْلِ الْحَزْمِ وَالضَّبْطِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، كَانَتْ تَنْتَظِرُ رُؤْيَتَهُ فِي صُورَةِ كُلِّ اسْمٍ بَدِيعِ الشَّكْلِ وَالْخَطِّ، وَحَرْفٍ رَائِقِ الصَّنْعِ وَالنَّقْطِ، فَلَمَّا اسْتَبَانَتْ لَهُمْ رُسُومُهُ وَعَوَالِمُهُ وَتَرَاءَتْ لَهُمْ فَوَاتِحُهُ وَخَوَاتِمُهُ وَظَهَرَتْ لَهُمْ مَحَاسِنُهُ وَمَكَارِمُهُ، وَاتَّضَحَتْ لَهُمْ طُرُقُهُ وَمَعَالِمُهُ، قَالُوا: هَذَا وَاللهِ بَحْرُ الْكَرَمِ الَّذِي لاَ سَاحِلَ لَهُ وَلاَ شَطَّ، وَجَنَّةُ الْفَوَاكِهِ وَالنِّعَمِ، الَّذِي قُرِنَتِ الْبَرَكَةُ بِذَاتِهِ وَمُحَيَّاهُ اقْتِرَانَ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ، وَالْحِمَا الَّذِي لاَ يَطْرَأُ عَلَى مَنْ لاَذَ بِجَنَابِهِ الْمُحْتَرَمِ غَضَبٌ وَلاَ سُخْطٌ، قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ زَمَانُهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْكُمْ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، وَغَمَرَكُمْ جُودُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَشَمِلَكُمْ حِلْمُهُ وَرِضْوَانُهُ، وَأَيَّدَكُمْ دَلِيلُهُ وَبُرْهَانُهُ، وَتُلِيَ فِي مَجَالِسِكُمْ حَدِيثُهُ وَفُرْقَانُهُ، وَظَهَرَ عَلَيْكُمْ فَضْلُهُ وَامْتِنَانُهُ، وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ بِقُدُومِهِ، وَجُهَّالاً فَهَدَاكُمْ بِحِكَمِهِ وَأَنْوَارِ عُلُومِهِ، وَجُفَاتًا فَأَلَّفَكُمْ بِمَوَاعِظِهِ وَجَوَاهِرِ رُقُومِهِ، وَهَمَجًا فَأَكْرَمَكُمْ بِزِيَارَةِ مَعَالِمِهِ وَمَعَالِمِ رُسُومِهِ، فَهُوَ الطَّبِيبُ الَّذِي شَفَى عِلَلَكُمْ بِبَرَكَةِ سِرِّهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَالَجَكُمْ بِتِرْيَاقِهِ النُّورَانِيِّ وَدَوَائِهِ، وَهَدَاكُمْ إِلَى اللهِ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَاقْتِفَائِهِ وَجَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ وِدَادِهِ (17) وَخَوَاصِّ كُرَمَائِهِ، وَوَجَدَكُمْ فُقَرَاءَ فَأَفَاضَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَحْرِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ وَعَطَائِهِ، وَعُمَاتًا فَوَضَّحَ لَكُمْ مَعَالِمَ الدِّينِ وَفَتَحَ بَصَائِرَكُمْ بِلَوَامِعِ نُورِهِ وَضِيَائِهِ وَلِسَانُ الْعِلْمِ اللاَّهُوتِي الْمُحَقِّقُ الَّذِي لاَ تُسْتَفَادُ عُلُومُ الْحَقَائِقِ إِلاَّ مِنْ خَبَرِهِ وَأَنْبَائِهِ، وَتُرْجُمَانُ الْغَيْبِ الْمُوَفِّقُ، الَّذِي لاَ تَنْكَشِفُ غَوَامِضُ الدَّقَائِقِ إِلاَّ مِنْ أَشِعَّةِ نُورِهِ وَسَنَائِهِ، وَأَمِينُ الْوَحْيِ الْمُصَدِّقُ، الَّذِي لاَ تُشْفَى الأَمْرَاضُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ إِلاَّ بِلَمْسِ رَاحَتِهِ وَتَقْبِيلِ أَعْضَائِهِ، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً نَكُونُ بِهَا مِمَّنْ أَدَّبْتَهُ بِأَدَبِ الْعُبُودِيَةِ فِي بَدْئِهِ وَانْتِهَائِهِ، وَسَلَكْتَ بِهِ مَسَالِكَ أَهْلِ السِّرِّ وَالْخُصُوصِيَةِ فِي تَدَلِّيهِ وَارْتِقَائِهِ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

إِلَيْكَ انْتَهَتْ مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا ❖ مُرَادَاتُ مَنْ أَصْبَحَتْ أَقْصَا مُنَابِهَا

وَمِنْ نُورِكَ الأَسْنَى اسْتَبَانَتْ مَعَالِمٌ ❖ هَدَيْتَ إِلَيْهَا النَّفْسَ بَعْدَ عَنَائِهَا

وَلَوْلاكَ لَمْ تَظْهَرْ لَهَا سُبُلُ الهُدَى ❖ وَلَمْ تَسْتَبِنْ لِلْخَلْقِ بَعْدَ خَفَائِهَا

وَلَوْلاكَ لَمْ تَبْلُغْ مَقَامًا وَلَمْ تَنَلْ ❖ مَرَامًا وَلَمْ تُوثَّقْ عُقُودُ رَجَائِهَا (18)

وَلَوْلاكَ لَمْ تَنْشَطْ لِقَطْعِ مَفَاوِزٍ ❖ إِلَيْكَ وَلَمْ تَبْسُطْ أَكُفَّ دُعَائِهَا

وَلَوْلاكَ لَمْ تَرْكَبْ مُتُونَ غَوَارِبٍ ❖ وَلا سَيَّرَتْهَا النَّفْسُ فِي لُجِّ مَائِهَا

فَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهَا هَوَاكَ دَعَا بِهَا ❖ وَحَثْحَثَ دَاعِي شَوْقِهَا مِنْ وَرَائِهَا

وَنَادَتْ أَيَادِيكَ الجُفَاتَ فَأَسْرَعُوا ❖ وَمِنْكَ بَلَغْتُ السُّؤْلَ قَبْلَ نِدَائِهَا

وَأَصْبَحْتُ مَغْبُوطًا بِأَنِّي وَارِدٌ ❖ لَدَيْكَ مِنَ النَّعْمَاءِ عَذْبَ رَوَائِهَا

فَدَعْنِي عَذُولِي إِنَّنِي فِي مَسَرَّةٍ ❖ بِرُؤْيَةِ دَارٍ جَلَّ نُورُ رُوَائِهَا

وَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِبَابِ مُحَمَّدٍ ❖ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ نُجْحِهَا وَقَضَائِهَا

وَأَعْظَمُ مَا أَشْكُوهُ أَدْوَاءُ بَاطِنِي ❖ وَفَضْلُ رَسُولِ اللهِ أَجْدَى دَوَائِهَا

فَأَدْرِكْ قَصِيَّ الدَّارِ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ ❖ فَقَدْ عَبِثَتْ بِالنَّفْسِ أَعْرَاضُ دَائِهَا

وَقَلْبِي صَدِيٌّ ذُو طِبَاعٍ قَسِيَّةٍ ❖ وَمِنْكَ الجَلاَ وَاللِّينُ بَعْدَ قَسَائِهَا

تُكَدِّرُ نَفْسًا بِالذُّنُوبِ فَإِنْ تَجُدْ ❖ بِعَطْفَةِ نَفْسٍ أَتْحَفَتْ بِصَفَائِهَا

أُرَجِّيكَ فِي كُلِّ الحَوَادِثِ نَاصِرًا ❖ تُفَرِّجُ عَنْهُ مَا دَهَا مِنْ بَلاَئِهَا

وَكَمْ مَرَّةً مِنْ بَعْدِ أُخْرَى أَغَثْتَهُ ❖ وَأَذْهَبْتَ عَنْهُ مَا يَخْشَاهُ مِنْ بُرَحَائِهَا

وَحَضْرَتُكَ العُلْيَا هِيَ المَرْكَزُ الَّذِي ❖ عَلَيْهِ مِنَ الأَكْوَانِ دَوْرُ رَحَائِهَا

إِلَى مَنْ سِوَاهَا يَذْهَبُ الخَلْقُ إِنَّمَا ❖ لَهُمْ رِضَى الرَّحْمَنُ سُبُلَ سَوَائِهَا

عَلَيْكَ صَلاَةُ اللهِ ثُمَّ سَلاَمُهُ ❖ يَدُومَانِ مَا وُرْقٌ شَدَتْ بِغِنَائِهَا (19)

وَءَالِكَ وَالأَصْحَابِ مَا فَاحَ مُزْهِرٌ ❖ بِرَوْضَةِ نُورٍ صُبِّحَتْ بِسَمَائِهَا

أَوْ تَقُولُ إِنَّ أَرْوَاحَ المَلاَئِكَةِ المُوَكَّلَةِ بِسَمَاءِ الدُّنْيَا وَسُكَّانَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالأَدْوَارِ المُحِيطَةِ وَالمَقَامَاتِ السَّنِيَّةِ العُلْيَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ لِيَحْصُلَ لَهَا فَضْلُ المُشَاهَدَةِ وَالرُّؤْيَا، وَالتَّبَرُّكُ بِلِقَائِهِ، وَالشَّرَابُ مِنْ مَوْرِدِ مَحَبَّتِهِ الأَحْلَى وَالسُّقْيَى، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَجِيئِهِ لِزِيَارَةِ مَوْلاَهُ العَلِيِّ الأَعْلَى، تَهَيَّأَتْ لِلُقْيَاهُ لِتَغْتَنِمَ بَرَكَتَهُ وَتَلْتَمِسَ مَوَاهِبَ فَضْلِهِ وَسِرِّهِ البَاهِرِ الأَجْلاَ وَحِينَ وَصَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَلَوَامِعِ الشُّعَاعَاتِ وَالضِّيَاءِ دَقَّ جِبْرِيلُ البَابَ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: قَدْ

بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قالَ:نَعَمْ، قِيلَ:حَيَّاهُ اللهُ مِنْ أَخٍ صَالِحٍ، وَمِنْ خَلِيفَةٍ نَاصِحٍ، فَنِعْمَ الأَخُ وَنِعْمَ الخَلِيفَةُ، وَنِعْمَ المَجِيءُ جاءَ عَرُوسُ المَمْلَكَةِ المُنِيفَةِ، وَدُرَّةُ المَحَاسِنِ اللَّطِيفَةِ، فَفَتَحَ البَابَ وَدَخَلَ، وَرَحَّبَ بِهِ كُلُّ مَنْ هُوَ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ وَبَجَّلَ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، وَأَمْلاكُهَا تُرَحِّبُ وَتُسَهِّلُ وَتُعَظِّمُ وَتُمَجِّدُ وَتُبَجِّلُ، وَتَلْثِمُ حَاشِيَةَ بِسَاطِهِ الأَسْمَا، وَتُقَبِّلُ (20) حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَقَامٍ يُسْمَعُ فِيهِ صَرِيرُ الأَقْلامِ، وَتُحْجِمُ عَنِ الوُصُولِ إِلَيْهِ أَكَابِرُ الرُّسُلِ الكِرَامِ وَالمَلائِكَةِ العِظَامِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنِّي، وَإِنِّي لا أَتَجَاوَزُ هَذَا المَقَامَ، وَلَوْ تَجَاوَزْتُهُ بِقَدْرِ خَرْمِ إِبْرَةٍ لاحْتَرَقْتُ بِنُورِ عِزَّةِ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَإِنَّمَا أُذِنَ لِي فِي الدُّنُوِّ مِنَ الحِجَابِ لإِكْرَامِكَ وَإِجْلالِكَ يَا سَيِّدَ الأَنَامِ، فَلَمَّا جَاوَزَ مَقَامَ جِبْرِيلَ ثُمَّ مَقَامَ مِيكَائِلَ ثُمَّ مَقَامَ إِسْرَافِيلَ ثُمَّ مَقَامَاتٍ أُخْرَى، وَوَصَلَ إِلَى مَقَامِ المَلَكِ المُسَمَّى بِالرُّوحِ، وَجَدَهُ مَلَكًا عَظِيمًا لَيْسَ فَوْقَهُ مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ، رِجْلاهُ تَحْتَ الثَّرَى وَرَأْسُهُ تَحْتَ العَرْشِ، لَهُ مِائَةُ أَلْفِ رَأْسٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ رَأْسٍ فِي كُلِّ رَأْسٍ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ، وَكُلُّ وَجْهٍ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ لِسَانٍ، وَكُلَّ لِسَانٍ لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ لُغَةٍ، كُلُّ لُغَةٍ لا تُشْبِهُ أُخْرَى، وَكُلُّ لِسَانٍ يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى وَيُقَدِّسُهُ بِأَصْوَاتٍ لا يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ يَخْلُقُ اللهُ تَعَالَى مِنْهَا مَلائِكَةً يُسَبِّحُونَهُ وَيُنَزِّهُونَهُ، وَيَجْعَلُ ثَوَابَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي أَكْرَمَهَا اللهُ بِبِعْثَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا الرُّوحُ لَوْ سَمِعَ تَسْبِيحَهُ أَهْلُ الأَرْضِ وَأَصْغَوْا إِلَيْهِ لَخَرَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَلَوْ شَاءَ لابْتَلَعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِينَ فِي أَحَدِ شِدْقَيْهِ، (21) وَأَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ اللهَ خَرَجَ مِنْ فِيهِ قِطَعُ نُورٍ كَأَمْثَالِ الجِبَالِ العِظَامِ، وَأَنَّ مَوْضِعَ قَدَمِهِ مَسِيرَةُ سَبْعَةِ ءَالافِ عَامٍ، وَأَنَّ لَهُ أَلْفَ جَنَاحٍ عَلَى الوَفَاءِ وَأَنَّهُ يَقُومُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَفًّا وَحْدَهُ عَلَى التَّمَامِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ فِي هَذَا المَعْنَى: اعْلَمْ أَنَّ هَذَا المَلَكَ هُوَ المُسَمَّى فِي اصْطِلاحِ الصُّوفِيَّةِ بِالحَقِّ المَخْلُوقِ وَبِالحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَأَنَّ رُوحَهُ الرُّوحَانِيَّةَ، وَهِمَّتَهُ العَالِيَةَ النُّورَانِيَّةَ كَانَتْ تَنْتَظِرُ إِلَى قُدُومِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتَشَوَّفُ، وَتَتَعَرَّضُ إِلَيْهِ فِي مَظَاهِرِ الأَسْرَارِ الغَيْبِيَّةِ وَتَتَعَرَّفُ، وَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى هَذَا المَلَكِ بِمَا نَظَرَ بِهِ إِلَى نَفْسِهِ فَخَلَقَهُ مِنْ نُورِهِ عَلَى الحَالَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِي العَوَالِمِ أَعْلاَ مِنْهَا وَأَشْرَفَ (22) وَخَلَقَ العَالَمَ مِنْهُ وَجَعَلَهُ مَحَلَّ نَظَرِهِ مِنَ العَالَمِ،

وَجعَلَ مِنْ أَسْمَائِهِ أَمْرَ اللهِ، وَهُوَ أَعْلَى المَوْجُودَاتِ مَكَانَةً وَأَسْمَاهَا مَنْزِلَةً لَيسَ فَوْقَهُ مَلَكٌ تخْضَعُ إِلَيْهِ الأَمْلاكُ وَتَرْهَبُ إِجْلالاً مِنْ هَيْبَتِهِ وَتَتَخَوَّفُ فَهُوَ سَيِّدُ المُقَرَّبِينَ وَأَفْضَلُ المُكْرَمِينَ قَدْ أَدَارَ اللهُ عَلَيْهِ رَحَى المَوْجُودَاتِ وَجَعَلَهُ قُطْبَ فَلَكِ المَخْلُوقَاتِ وَلَهُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ وَجْهٌ خَاصٌّ يَلْحَظُهُ، وَفِي الرُّتْبَةِ الَّتي أَوْجَدَهُ اللهُ فِيهَا يَحْفَظُهُ وَجمِيعُ سُكَّانِ الأَرَضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ تَتَوَلَّدُ مِنْ رُوحَانِيَّتِهِ وَبِأَمْرِهِ فِي سَائِرِ المُكَوَّنَاتِ تَتَصَرَّفُ، وَلَهُ ثَمَانِيَةُ صُوَرٍ وَهُمْ حَمَلَةُ العَرْشِ (23) وَنِسْبَةُ المَلائِكَةِ إِلَيْهِ نِسْبَةُ القَطَرَاتِ إِلَى البَحْرِ، وَنِسْبَةُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ مِنْهُ نِسْبَةُ الثَّمَانِيَةِ الَّتي قَامَ الوُجُودُ الإِنْسَانِيُّ بِهَا مِنْ رُوحِ الإِنْسَانِ، وَهِيَ العَقْلُ وَالوَهْمُ وَالفِكْرُ وَالخَيَالُ وَالصُّورَةُ وَالحَافِظَةُ وَالمُدْرِكَةُ وَالنَّفْسُ الَّتي بِهَا تَقُومُ بِنْيَةُ الإِنْسَانِ وَعَلَيْهَا تَتَوَقَّفُ، وَلِهَذَا المَلَكِ فِي العَالَمِ اللَّاهُوتِي وَالعَالَمِ الجَبَرُوتِي، وَالعَالَمِ الأَعْلا وَالعَالَمِ المَلَكُوتِي، وَالعَالَمِ المُلْكِي هَيْمَنَةٌ إِلاهِيَّةٌ خَلَقَهَا اللهُ فِيهِ وَقَدْ ظَهَرَتْ بِكَمَالِهَا فِي الحَقِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (24) أَفْضَلَ الخَلِيقَةِ وَبِجَاهِهِ تَتَوَسَّلُ الخَلائِقُ إِلَى اللهِ وَتَطْلُبُ رِضَاهُ وَتَتَعَطَّفُ وَبِهَا امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَجَعَلَهَا مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ الَّتي أَسْدَاهَا إِلَيْهِ فَقَالَ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾،

الَّذِي بِهِ تَتَنَوَّرُ قُلُوبُ الخَلائِقِ وَتَتَنَظَّفُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مَنْ تَبِعَهُ لا يَمِيلُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَلا يَتَحَرَّفُ أَيْ: جَعَلْنَا لِرُوحِكَ وَجْهًا كَامِلاً مِنْ وُجُوهِنَا وَكَنَّى بِالوَحْيِ عَنْ خَلْقِ رُوحِهِ وَبِالرُّوحِ عَنْ وَجْهِ هَذَا المَلَكِ الكَرِيمِ الأَعْظَمِ الذي هُوَ أَمْرُهُ لأَنَّ هَذَا المَلَكَ اسْمُهُ أَمْرُ اللهِ العَظِيمِ الَّذِي لا تُدْرَكُ حَقِيقَتُهُ (25) وَلا تَتَكَيَّفُ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾،

ذَكَرَهُ بِالإِضَافَةِ لِلاهْتِمَامِ بِهِ وَنَكَرَهُ لِجَلالَةِ ذَلِكَ الوَجْهِ تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِ قَدْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُعَظَّمِ المُشَرَّفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾،

فَأَفَادَ التَّنْكِيرُ عِظَمَ ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذِي تَتَحَسَّرُ النُّفُوسُ فِيهِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ فِعْلِ الخَيْرِ وَتَتَأَسَّفُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾،

وَلَمْ يَقُلْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِنَا لِأَنَّ الرُّوحَ هُوَ المَقْصُودُ مِنَ الوُجُودِ إِذْ هُوَ المَقْصُودُ مِنَ الهَيْكَلِ الإِنْسَانِيِّ المُعَرَّفِ، وَإِتْيَانُهُ بِنُورِ الإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ:

﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾،

تَأْكِيدًا وَتَنْبِيهًا عَلَى عُلُوِّ قَدْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَسْمُوا بِالإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِ الخَلَائِقُ وَتَتَشَرَّفُ، وَقَدْ خَلَقَ اللهُ هَذَا المَلَكَ مِرْءَاةً لِذَاتِهِ وَلَا يَظْهَرُ اللهُ تَعَالَى بِذَاتِهِ إِلَّا فِي هَذَا المَلَكِ وَظُهُورُهُ فِي جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ إِنَّمَا هُوَ بِصِفَاتِهِ، وَهُوَ قُطْبُ العَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ وَالأُخْرَوِيِّ وَقُطْبُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَهْلِ الكَثِيبِ وَأَهْلِ الأَعْرَافِ فَاقْتَضَتِ الحَقِيقَةُ الإِلَاهِيَّةُ فِي عِلْمِ (26) اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ لَا يَخْلُقَ شَيْئًا إِلَّا وَلِهَذَا المَلَكِ فِيهِ وَجْهٌ يَدُورُ فَلَكُ ذَلِكَ المَخْلُوقِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ قُطْبٌ وَلَا يَتَعَرَّفُ هَذَا المَلَكُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ إِلَّا إِلَى الإِنْسَانِ الكَامِلِ، فَإِذَا عَرَفَ الوَلِيُّ عَلَّمَهُ أَشْيَاءَ فَإِذَا تَحَقَّقَ بِهَا صَارَ قُطْبًا يَدُورُ عَلَيْهِ رُوحُ العَالَمِ جَمِيعِهِ لَكِنْ بِحُكْمِ النِّيَابَةِ عَنْ هَذَا المَلَكِ فَالقُطْبَانِيَّةُ فِي هَذَا الوُجُودِ لِهَذَا المَلَكِ بِحُكْمِ الأَصَالَةِ وَالمُلْكِ، وَلِغَيْرِهِ بِحُكْمِ النِّيَابَةِ وَالعَارِيَةِ فَاعْرِفْهُ فَإِنَّهُ الرُّوحُ المَذْكُورُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾،

يَقُومُ هَذَا المَلَكُ فِي الدَّوْلَةِ الإِلَاهِيَّةِ وَالمَلَائِكَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ وُقُوفًا صَفًّا أَيْ: فِي خِدْمَتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ فِي عِبَادَةِ الحَقِّ مُتَصَرِّفٌ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ الإِلَاهِيَّةِ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَوْلُهُ:

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾،

رَاجِعٌ إِلَى المَلَائِكَةِ دُونَهُ وَأَمَّا هُوَ فَمَأْذُونٌ لَهُ فِي الكَلَامِ مُطْلَقًا فِي الحَضْرَةِ الإِلَاهِيَّةِ

لِأَنَّهُ مَظْهَرُهَا الأَكْمَلُ، وَمَجْلاهَا الأَفْضَلُ وَأَوَّلُ مَنْ يَتَلَقَّى الأَمْرَ مِنَ الحَقِّ هَذَا المَلَكُ ثُمَّ يُوحِيهِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَهُمْ لَهُ كَالجُنْدِ وَجَمِيعُهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْهُ مِثْلَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِلَ وَإِسْرَافِيلَ وَعَزْرَائِلَ وَمَنْ (27) هُوَ فَوْقَهُمْ كَالمَلَكِ المُسَمَّى بِالنُّورِ وَهُوَ القَائِمُ تَحْتَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ وَالمُسَمَّى بِالقَلَمِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الغَالِينَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالسُّجُودِ لِآدَمَ انْتَهَى.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي المُفَاضَلَةِ بَيْنَ المَلَكِ وَالبَشَرِ فَقَالَ الإِمَامُ البَيْهَقِي فِي شُعَبِ الإِيمَانِ: قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي المُفَاضَلَةِ بَيْنَ المَلَكِ وَالبَشَرِ، فَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ الرُّسُلَ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ المَلائِكَةِ، وَالأَوْلِيَاءُ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَلائِكَةِ، وَذَهَبَ ءَاخَرُونَ إِلَى أَنَّ المَلأَ الأَعْلَى مُفَضَّلُونَ عَلَى سُكَّانِ الأَرْضِ، وَلِكُلٍّ مِنَ القَوْلَيْنِ وَجْهٌ ظَاهِرٌ، فَمَنْ قَالَ بِالأَوَّلِ احْتَجَّ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلاَ شَهْوَةٍ وَمَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَطِينَتُهُ مَعْجُونَةٌ بِالهَوَى وَالشَّهْوَةِ كَانَتْ عِبَادَتُهُ أَفْضَلَ، أَلاَ تَرَى مَنِ ابْتُلِيَ مِنَ المَلائِكَةِ بِالشَّهْوَةِ كَيْفَ ذُكِرَ فِي المَعْصِيَةِ وَذَكَرَ قِصَّةَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَسَاقَهَا مِنْ ثَلاَثَةِ طُرُقٍ ثُمَّ أَخْرَجَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَكْرَمَ خَلِيفَةِ اللهِ عَلَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: رَحِمَكَ اللهُ، وَأَيْنَ المَلائِكَةُ؟ قَالَ:المَلائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ الأَرْضِ وَخَلْقِ السَّمَاءِ وَخَلْقِ السَّحَابِ وَخَلْقِ الجِبَالِ (28) وَخَلْقِ الرِّيَاحِ وَسَائِرِ الخَلاَئِقِ، وَأَنَّ أَكْرَمَ الخَلْقِ عَلَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْرَجَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَ مُحَمَّدًا عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَعَلَى الأَنْبِيَاءِ، قَالُوا: وَمَا فَضْلُهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»،

وَأَخْرَجَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَيْءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنِ ابْنِ ءَادَمَ؟ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ المَلائِكَةُ؟ قَالَ: المَلائِكَةُ مَجْبُورُونَ بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ، قَالَ البَيْهَقِي: تَفَرَّدَ بِهِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ غَانِمٍ السُّلَمِي عَنْ خَالِدٍ الحَذَّاءِ وَعُبَيْدُ اللهِ، قَالَ البُخَارِي: عِنْدَهُ عَجَائِبُ، قَالَ: وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ خَالِدٍ الحَذَّاءِ مَوْقُوفًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ الصَّحِيحُ، قَالَ: وَمَنْ قَالَ بِالقَوْلِ الآخَرِ أَشْبَهُ

أَنْ يَقُولَ: إِذَا كَانَ التَّوْفِيقُ لِلطَّاعَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الأَفْضَلَ مَنْ كَانَ تَوْفِيقُهُ لَهُ وَعِصْمَتُهُ إِيَّاهُ أَكْثَرَ، وَإِذَا وَجَدْنَا الطَّاعَةَ الَّتِي وُجُودُهَا بِتَوْفِيقِهِ وَعِصْمَتِهِ مِنَ المَلَائِكَةِ أَكْثَرَ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ انْتَهَى(29) مَا جَرَى بِهِ القَلَمُ فِي هَذَا المَجَالِ.

أَوْ تَقُولُ إِنَّ أَرْوَاحَ الهَيَاكِلِ النُّورَانِيَّةِ وَالأَشْخَاصِ المُسْتَخْرَجَةِ مِنْ بُيُوتِ الأَوْفَاقِ المَعْمُورَةِ بِأَسْرَارِ الحُرُوفِ وَالأَسْمَاءِ وَالآيَاتِ القُرْءَانِيَّةِ، وَالعَوَالِمِ المُتَوَلِّدَةِ مِنَ الطَّبَائِعِ الأَرْبَعِ النَّارِيَةِ وَالتُّرَابِيَّةِ وَالهَوَائِيَةِ وَالمَائِيَةِ وَالأَرْوَاحِ الحَاكِمَةِ بِالقَهْرِ وَالغَلَبَةِ عَلَيْهَا وَهِيَ الجِبْرَائِلِيَّةِ وَالمِيكَائِلِيَّةِ وَالسِّرْفَائِلِيَّةِ وَالعَزْرَائِلِيَّةِ وَالعَزَائِمِ الجَالِبَةِ لَهَا مِنَ الأَقْطَارِ النَّائِيَةِ وَقُعُورِ البُحُورِ وَالجَزَائِرِ وَالأَمَاكِنِ المَعْمُورَةِ وَالخَالِيَةِ كَانَتْ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي مَقَامَاتِ الخُصُوصِيَةِ وَالاخْتِصَاصِيَةِ وَمَظَاهِرِ المَوَاهِبِ وَالفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَحَظَائِرِ الأَسْرَارِ العِنْدِيَّةِ وَالتَّنَزُّلَاتِ الفَرْدَانِيَّةِ الرِّضْوَانِيَّةِ، فَنَادَتْهُمْ هَوَاتِفُ الهِمَمِ القُدْسَانِيَّةِ وَالمَمْلَكَةِ السُّلْطَانِيَّةِ،

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

وَاثْبُتُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ تَسْتَضِيئُونَ بِهِ مِنْ ظُلْمَةِ غَوَاشِي الطَّبَائِعِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَهَوَاجِسِ الصُّدُورِ المَحْجُوبَةِ (30) بِأَغْطِيَةِ الجَهْلِ وَكَثَائِفِ الحُجُبِ الظُّلْمَانِيَّةِ،

﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾،

فَفَرِحَتْ تِلْكَ الأَرْوَاحُ بِمَا سَمِعَتْ وَاسْتَبْشَرَتْ وَلَهِجَتْ بِذِكْرِهِ فِي غَيْبِ هُوِيَّتِهَا وَاسْتَهْتَرَتْ، وَسَرَى سِرُّهُ فِي طَبَائِعِهَا وَأَمْزِجَتِهَا فَعَظُمَتْ مَزِيَّتُهَا بِذَلِكَ بَيْنَ سَائِرِ المُكَوَّنَاتِ وَاشْتَهَرَتْ، وَذَهَبَ عَنْهَا مَا كَانَتْ تَجِدُهُ مِنْ وَحْشَةِ الفَقْدِ وَالبَيْنِ، وَقَرُبَ لَهَا مَا كَانَتْ تَسْتَبْعِدُهُ مِنْ رُؤْيَةِ زَيْنِ الزَّيْنِ وَنُورِ سَوَادِ العَيْنِ وَعَرُوسِ مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ، سَيِّدِي وَمَوْلَايَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِيمِ النَّشْأَتَيْنِ وَشَرِيفِ النِّسْبَتَيْنِ، الَّذِي قَالَ:

«بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ»

إلى مَا كُشِفَ لَهُ مِنْ عِلْمِهَا المُبْهَم عَنِ الإنْسِ وَالجِنِّ وَجَمِيع الثَّقَلَيْن، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا مَرَّ بِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ مَبْعُوثًا إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: اللّه أَكْبَرُ قَدْ قَامَتِ السَّاعَة، وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّ المَلائِكَةَ لَمَّا سَمِعُوا نُزُولَ القُرْءَانِ صَعِقُوا صَعْقَةً تَدَكْدَكَتْ مِنْهَا الجِبَالُ (31) وَكَثُرَ فِيهِمُ الرُّعْبُ وَالفَزَعُ وَالأَوْجَالُ،

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾،

قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: إنَّ فِي هَذِهِ الآيَةِ بَعْضَ العِتَابِ مَعَ أَهْلِ المَئَابِ لأَنَّهُمْ لا يَذُوبُونَ تَحْتَ مَوَارِدِ الخِطَابِ الأَزَلِيِّ وَلا يَفْنَوْنَ فِي مُشَاهَدَةِ الصِّفَاتِ، وَلا يَرَوْنَ بِهَا عَيْنَ الذَّاتِ، وَذَلِكَ لأَنَّ مِنْ حَقِّ المُخَاطَبِ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُعَاتَبَتِهِ فَانِيًا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الكَوْنِ فِيهِ وَلَوْ كَانَتِ الجِبَالُ مَقَامَهُ فِي الخِطَابِ لَتَدَكْدَكَتِ الجِبَالُ وَتَدَرْدَرَتْ، وَانْفَلَقَتْ صُخُورُهَا الصُّمُّ وَتَهَوَّرَتْ وَانْهَدَمَتِ الشَّامِخَاتُ العَالِيَاتُ فِي سَطَوَاتِ أَنْوَارِهِ وَهُجُوم سَنَا أَقْمَارِهِ، إذْ كُلُّ حَرْفٍ مِنْ خِطَابِهِ أَعْظَمُ مِنَ العَرْشِ وَالكُرْسِيِّ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالأَكْوَانِ وَالحَدَثَانِ، وَذَلِكَ لأَنَّهَا عَرَفَتْ حَقِيقَتَهُ وَأَقَرَّتْ بِالعَجْزِ عَنْ حَمْلِ هَذَا الخِطَابِ العَظِيمِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، الآيَةُ

قِيَامُهُ بِإِزَاءِ القِدَمِ وَجَهْلُهُ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِ بِحَقَائِقِ العُبُودِيَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، لا تَخُضْ يَا أَخِي فِي بَحْرِ كَلامِ المُتَكَلِّمِينَ، إنَّ الجِبَالَ لَيْسَ لَهَا عَقْلٌ فَإِنَّ هُنَاكَ أَرْوَاحًا وَعُقُولاً لا يَعْلَمُهَا إلاَّ اللّه، قَالَ اللّه تَعَالَى:

﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾،

وَلَوْلاَ مَا هُنَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَبَّلُ الخِطَابَ بِمَا خَاطَبَهَا (32) فَإِنَّ بِبَعْضِ الخِطَابِ وَمُبَاشَرَةِ الأَمْرِ تَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّه كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾،

وَالخَشْيَةُ مَكَانُ العِلْمِ بِاللّهِ وَبِخِطَابِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ أُخْرَى فِي بَيَانِ شَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ بِأَنَّهُمْ حَمَلُوا مَا لَمْ تَحْمِلْهُ الجِبَالُ بِقُوَّتِهَا فَهُمْ يَحْمِلُونَهُ بِذَوْقِ الخِطَابِ وَكَشْفِ النِّقَابِ، وَالسُّرُورِ بِالمَئَابِ، قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: أَشَارَ إِلَى فَضْلِهِ بِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ مَعْرِفَتِهِ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الأَشْيَاءِ لَا يَقُومُ بِصِفَاتِهِ وَلَا يَبْقَى مَعَ تَجَلِّيهِ إِلَّا مَنْ قَوَّاهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ قُلُوبُ العَارِفِينَ فَقَامُوا لَهُ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ وَهُوَ القَائِمُ بِهِمْ لَا هُمْ وَهَكَذَا قَالَ الأُسْتَاذُ، لَيْسَ هَذَا الخِطَابُ عَلَى وَجْهِ العِتَابِ مَعَهُمْ بَلْ هُوَ عَلَى سَبِيلِ المَدْحِ وَبَيَانِ تَخْصِيصِهِ إِيَّاهُمْ بِالقُوَّةِ فَقَالَ:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾،

لَمْ يُطِقْ وَلَتَخَشَّعَ، وَهَؤُلَاءِ خَصَّصْتُهُمْ بِهَذِهِ القُوَّةِ حَتَّى أَطَاقُوا سَمَاعَ خِطَابِهِ، انْتَهَى.

وَنُزُولُ القُرْءَانِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الَّتِي عِلْمُهَا مَوْكُولٌ إِلَى مَوْلَانَا الكَبِيرِ المُتَعَالِ، وَقَدْ صَعِقَتِ الأَنْبِيَاءُ بِطِيبِ كَلَامِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا تَكَلَّمَ بِالرَّحْمَةِ تَكَلَّمَ بِالفَارِسِيَّةِ وَإِذَا تَكَلَّمَ بِالعَذَابِ تَكَلَّمَ بِالعَرَبِيَّةِ وَلَمَّا سَمِعُوا العَرَبِيَّةَ ظَنُّوا أَنَّهُ عَذَابٌ فَصَعِقُوا صَعْقَةً فَزِعَ مِنْهَا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ (33) وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ذُو العِزَّةِ وَالجَلَالِ. وَكَيْفَ لَا يَصْعَقُونَ وَكَلَامُ الحَقِّ يُفَتِّتُ أَكْبَادَ الخَائِفِينَ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَقْطَعُ مِنْهُمُ العُرُوقَ وَالأَوْصَالَ، وَهُوَ قَدِيمٌ فَأَجْدَرُ أَنْ تَذُوبَ تَحْتَ سَطَوَاتِ عِزَّتِهِ الأَرْوَاحُ وَالأَشْبَاحُ مِنْ أَكَابِرِ الفُحُولِ مِنَ الرِّجَالِ، فَالحَقُّ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ يَحْمِلُ صِفَاتِهِ لَا غَيْرَ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤَيَّدًا بِالاتِّصَافِ بِالحَقِّ فَكَانَ يَحْمِلُ الحَقَّ بِالحَقِّ، وَءَايُ القُرْءَانِ لَطِيفَةٌ عَلَى قَلْبِهِ، ثَقِيلَةٌ عَلَى مَنْ لَا يَفْهَمُهَا إِذِ القُرْءَانُ مَحْمُولٌ بِجَمَالِهِ فَحَيْثُ انْكَشَفَ صَارَ لَطِيفًا عَلَى أَهْلِهِ، وَحَيْثُ لَا يَنْكَشِفُ ثَقِيلٌ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا قَلْبٌ مُؤَيَّدٌ بِالتَّوْفِيقِ، وَنَفْسٌ مُزَيَّنَةٌ بِالتَّوْحِيدِ وَهُمَا قَلْبُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَفْسُهُ وَمَنْ يُطِيقُ حَمْلَ مَا أَطَاقَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَلَقُّفِ الخِطَابِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ لِأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِالعِصْمَةِ، مَخْصُوصٌ بِالحِكْمَةِ، انْتَهَى.

أَوْ تَقُولُ إِنَّ عَوَالِمَ الأَرْوَاحِ العُلْوِيَّةِ (34) السَّمَاوِيَةِ، المُهَيَّمَةِ فِي جَمَالِ اللهِ وَأَوْصَافِ كَمَالَاتِهِ المُقَدَّسَةِ الذَّاتِيَةِ، وَهُمُ المُعَبَّرُ عَنْهُمْ بِعَالَمِ الجَبَرُوتِ وَعَالَمِ اللَّاهُوتِ وَعَالَمِ الرَّحَمُوتِ، وَعَالَمِ المَعَانِي، وَعَالَمِ القُرْبِ وَالتَّدَانِي، وَعَالَمِ المُشَاهَدَةِ وَالعِيَانِ، وَعَالَمِ

الكَشْفِ وَالبَيَانِ، لَيْسُوا مِنَ العَالَمِ المُسْتَخْرَجِ مِنَ العَنَاصِرِ وَالطَّبَائِعِ وَلاَ مِنْ مَبِيتِ القَمَرِ فِي البُرُوجِ السَّعْدِيَةِ وَمُرَاعَاةِ الأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ وَالسَّاعَاتِ وَالطَّوَالِعِ، بَلْ هُمْ أَشْرَفُ خَلْقِ اللهِ لأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ نُورِ الوَاحِدِيَّةِ وَالأَحَدِيَّةِ، وَعِزِّ الدَّيْمُومِيَّةِ وَكُنْهِ الصُّمُودِيَةِ وَجَلاَلَةِ العَظَمُوتِيَّةِ، كَانَتْ تَرْتَجِي قُدُومَ مَنْ رَأَى مَوْلاَهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَسَارَّهُ فِي مَقَامِ الخُصُوصِيَّةِ وَأَنْزَلَهُ المَنْزِلَ المُقَرَّبَ مِنْهُ وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ شَمْسُ فَلَكِ كُلِّ سَمَاءٍ وَإِمَامُ كُلِّ حَضْرَةٍ عَلاَ قَدْرُهَا عِنْدَ اللهِ وَسَمَا، وَبَذْرَةُ كُلِّ شَجَرَةٍ زَكَى فَرْعُهَا فِي رِيَاضِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَنَمَا، وَنَادَتْهُمْ بَشَائِرُ المَسَرَّاتِ، وَعَوَاطِفُ الرَّحَمَاتِ وَالمَبَرَّاتِ،

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَقَدْ لاَحَتْ لَكُمْ بَشَائِرُ رَحَمَاتِهِ قَبْلَ النَّشْأَةِ (35) وَالتَّكْوِينِ وَتَرَاءَتْ لَكُمْ أَنْوَارُ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَءَادَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ فَبِهِ سِبَاقُ السَّابِقِينَ إِلَى مَظَاهِرِ التَّجَلِّيَاتِ الإِحْسَانِيَّةِ، وَبِهِ لَحَاقُ اللاَّحِقِينَ إِلَى مَرَاتِبِ المَوَاهِبِ وَالفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَبِهِ قَوِيَ إِيمَانُ الوَاثِقِينَ فَتَوَكَّلُوا عَلَى مَوْلاَهُمْ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَبِهِ ظَهَرَتْ خُصُوصِيَّةُ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ جَعَلَ اللهُ بِأَيْدِيهِمْ مَفَاتِحَ كُنُوزِ أَسْرَارِهِ وَصَرَّفَهُمْ فِي مَمْلَكَتِهِ السُّلْطَانِيَّةِ وَبِهِ كَمُلَتْ رَغْبَةُ العَاشِقِينَ الَّذِينَ أُفْنُوا عَنْ فَنَائِهِمْ فِي مَحَبَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ النُّورَانِيَّةِ، وَبِهِ تَلَوَّنَتْ أَحْوَالُ الذَّائِقِينَ الَّذِينَ شَرِبُوا بِالكَأْسِ الأَوْفَى مِنْ مَنَاهِلِ مَوَادِّ إِمْدَادَاتِهِ الكَوْثَرِيَّةِ الصَّمْدَانِيَّةِ، وَبِهِ ثَبَتَتْ أَقْدَامُ الرَّاسِخِينَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ العِلْمَ عَنِ اللهِ فِي مَعَانِي غَوَامِضِ التَّنَزُّلاَتِ الفُرْقَانِيَةِ، وَفِي جَمَالِ بَهَائِهِ المُحَمَّدِيِّ بُهِتَتْ أَعْيَانُ النَّاظِرِينَ الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا مَدْحَ شَمَائِلِهِ خَلَعُوا العِذَارَ وَمَزَّقُوا أَثْوَابَ قُلُوبِهِمْ بِسُيُوفِ مَوَاجِدِهِ الجَذْبِيَّةِ وَبَوَارِقِ شَطَحَاتِهِ الهَيَمَانِيَّةِ، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُنْشِقُنَا بِهَا نَوَافِحَ (36) عَوَاطِفِ رَحَمَاتِهِ الرَّحْمَانِيَّةِ، وَتُنَوِّرُ بِهَا بَصَائِرَنَا بِأَنْوَارِ مَوَاهِبِ عُلُومِهِ العِرْفَانِيَّةِ، وَتُرْوِينَا بِهَا مِنْ مَنَاهِلِ مَوَادِّ إِمْدَادَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ القُدْسَانِيَّةِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

يَا مُرْقِصَ الأَغْصَانِ بِالنَّسَمَاتِ ❖ وَمُمَيِّلَ الأَعْطَافِ بِالنَّغَمَاتِ

يَا مُخْجِلَ القَمَرَ المُنِيــــرَ بوَجْهِهِ	وَالرِّيم فِي طَــــرْفٍ وَفِي لَفَتَاتِ
يَا قِبْلَةَ الحُسْنِ البَدِيـــعِ وَمَنْ لَهُ	صَبَتْ مُلُوكُ الحُبِّ فِي الحَضَـرَاتِ
أَنْتَ الَّـــــذِي حَيَّرْتَنِي وَهَدَيْتَنِي	وَتَرَكْتَنِي وَأَخَـــــذْتَنِي عَنْ ذَاتِي
أَلْبَسْتَ هَيْكَــلَ شَاهِدِي وَمُشَاهِدِي	ثَوْبَ الجَمَـــالِ وَأَشْرَفَ الحِبَرَاتِ
وَمَلَأْتَنِي بِخُمُـــورِ سِرِّكَ فَاغْتَدَتْ	تَمْتَارُ مِنْ فَيْضِ جَمِيـــعِ سُقَاتِي
وَإِلَيْكَ أَفْرَدْتُ القُصُـــودَ فَلَمْ أَجِدْ	إِلاَّ وُجُـــودَكَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِي
وَتَرَافَعَتْ عَنِّـــي حَوَاجِبُ صُورَتِي	فَرَأَيْتُ عَيْنَ القَصْدِ سِـــرَّ صِفَاتِي
وَطَرِبْتُ مِنْكَ بِنَغْمَةٍ قُدُسِيَّـــةٍ	دَاوُودُهَا مُتَوَاصِــلُ اللَّـــذَّاتِ
فَلْيَهْـــنَ مَنْ سَمِعَ الخِطَابَ وَلَمْ يُرِدْ	كَشْـفَ الحِجَابِ فَصَارَ سِرَّ الذَّاتِ
هَذَا وُجُـــودُ مُحَمَّدٍ وَمَقَامُـــهُ	وَشُئُونُـــهُ مَنْشُـورَةُ الرَّايَـاتِ
وَاللهُ أَعْلَــمُ حَيْثُ يَجْعَـلُ سِرَّهُ	فَاخْضَعْ لَهُ فِي سَائِـــرِ الحَـالاَتِ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ جَمِيعَ الأَرْوَاحِ الرُّوحَانِيَّةِ، (37) وَالأَجْسَامِ الجُثْمَانِيَّةِ وَالنُّورَانِيَّةِ، الَّتِي أَحَاطَ بِأَسْمَائِهَا وَمُسَمَّيَاتِهَا العِلْمُ اللاَّهُوتِيُّ المَكْنُونُ، وَانْفَرَدَ بِتَصْوِيرِ شَكْلِهَا وَحِكْمَةِ سِرِّهَا العَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لاَ يَكُونُ، كَانَتْ نُقْطَةً تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي فَضَاءِ كُنْ فَيَكُونُ، وَهَيُولَى مَخْبُوءَةً فِي عِلْمِ الغَيْبِ تَرْتَجِي رُؤْيَةَ طَالِعِ سَعْدِهِ المُبَارَكِ وَمُشَاهَدَةِ وَجْهِهِ المَلْحُوظِ بِبَشَائِرِ اليُمْنِ وَالبَرَكَةِ المَقْرُونِ، فَنَادَاهُمْ مُنَادِي السِّرِّ الكَامِنِ فِي خَزَائِنِ الغُيُوبِ المَخْزُونِ، المُسْتَتِرِ عَنْ مَدَارِكِ العُقُولِ وَمُلاَحَظَةِ العُيُونِ،

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

لِأَنَّهُ كَنْزُ السِّرِّ المَصُونِ وَبَشِيرُ الخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ المَيْمُونِ، وَسِرُّ الكَوْنِ السَّابِقِ لِلْخَلْقِ نُورُهُ قَبْلَ الْتِقَاءِ الكَافِ وَالنُّونِ، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ وَهُوَ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ بَسِيطٌ، غَيْرُ مُتَحَيِّزٍ وَلاَ قَابِلٍ لِذَلِكَ بَلْ هُوَ لِأَنْوَارِ التَّجَلِّيَاتِ جَامِعٌ وَبِأَنْوَاعِ التَّنَزُّلاَتِ مُحِيطٌ، لِأَنَّ الحَقَّ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ، وَخَلَقَ العَالَمَ بِأَسْرِهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالاَتِهِ فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا فِي العَالَمِ بِجِسْمِهِ، مُتَصَرِّفًا فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ بِحُكْمِهِ، الكَوْنُ كُلُّهُ يَشْهَدُ بِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ وَكَمَالِ فَضْلِهِ، وَعَالَمُ التَّقْدِيرِ وَالتَّصْوِيرِ (38)

يُنبئُ بقُرْبِهِ منَ اللهِ وَوَصْلِه، فَهُوَ نُونُ نُقطَةِ كُلِّ حَرْفٍ يَابِسٍ وَمُعْجَمٍ وَسِرُّ كُلِّ اسْمٍ ظَاهِرٍ وَمُبْهَم، وَمَادَّةُ مَدَدِ كُلِّ خَيْرٍ ظَهَرَ فِي الوُجُودِ وَجَرَى بِهِ فِي أُمِّ الكِتَابِ القَلَمُ، وَنُونُ نَفَائِسِ العُلُومِ الغَيْبِيَّةِ الَّتِي شَوَاهِدُ فُتُوحَاتِهِ المَوْلَوِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بَحْرُ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ المُتَدَفِّقُ بِأَسْرَارِ عُلُومِ الذَّاتِ المُلْتَطِمُ، وَنُونُ نُجُومِ الآيَاتِ السَّاطِعَةِ الَّتِي دَلائِلُ نُبُوَّتِهَا تَشْهَدُ بِأَنَّهُ رَسُولُ الرَّحْمَةِ المَبْعُوثِ لِلإِنْسِ وَالجِنِّ وَالأَمْلاَكِ وَسَائِرِ الأُمَمِ، وَنُونُ نُعُوتِ ذَاتِهِ الجَمِيلَةِ الَّتِي مَحَاسِنُهَا تُنْبِئُ بِأَنَّهُ كَرِيمُ السَّجَايَا المَمْدُوحُ بِالخُلُقِ العَظِيمِ فِي سُورَةِ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ وَمَجْمَعُ حَقَائِقِ دَقَائِقِ العِلْمِ الأَزَلِيِّ الذَّاتِيِّ القَدِيمِ، وَمَنْبَعُ رَقَائِقِ لَطَائِفِ الفَوَائِدِ وَالحِكَمِ الشَّافِي بِتِرْيَاقِ عِلاَجِهِ دَاءَ الصَّحِيحِ وَالسَّقِيمِ، وَمَرْكَزُ دَوَائِرِ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَرُكْنُ الإِسْلاَمِ وَعُمْدَةُ الدِّينِ القَوِيمِ وَحِلْيَةُ الأَفْرَادِ الَّذِينَ أَثْلَجَ اللهُ صُدُورَهُمْ بِبَرْدِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَبَهَّجَ أَفْئِدَتَهُمْ بِشَوَارِقِ أَنْوَارِ مَحَبَّتِهِ فَجَدُّوا كُلَّ الجِدِّ فِي تَحْصِيلِ رِضَاهُ حَتَّى فَازُوا بِمُرَافَقَتِهِ فِي أَعَالِي الفَرَادِيسِ (39) وَجَنَّةِ النَّعِيمِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُطَهِّرُنَا بِهَا مِنْ كُلِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ، وَتَجْعَلُنَا بِهَا مِمَّنْ يَسْعَى فِي رِضَاكَ وَرِضَاهُ لِيَأْتِيَكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

لَهُ الشَّفَــــاعَةُ يَوْمَ الدِّينِ جَامِعَةٌ ❖ دُونَ النَّبِيئِينَ مَــــا لِذَاكَ مِنْ نُكُرِ
قَدْ خُصَّ بِلِوَاءِ الحَمْــــدِ فِي عَدَدٍ ❖ مِــــنَ المَفَاخِرِ تَنْبِيهًا لِمُدَّكِـــرِ
خَصَائِــــصُ خَصَّهُ رَبُّ العِبَادِ بِهَا ❖ أَرْبَى عَلَى المُرْسَلِيــنَ السَّادَةِ الزُّهُرِ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ عَوَالِمَ الأَرْوَاحِ الَّتِي تَكَوَّنَتْ مِنْ نُقْطَةِ حُبِّهِ المُحَمَّدِيِّ أَشْكَالُهَا، وَتَلَوَّنَتْ مِنْ وَارِدَاتِ شَوْقِهِ الأَحْمَدِيِّ أَحْوَالُهَا، وَحَيِيَتْ بِنَوَاسِمِ زَهْرِهِ النَّدِيِّ عُرُوقُهَا وَأَوْصَالُهَا، وَفُتِحَتْ بِبَرَكَةِ عِزِّهِ الدَّائِمِ السَّرْمَدِيِّ أَبْوَابُهَا وَأَقْفَالُهَا، وَأُحِلَّتْ بِسِرِّ بَعْثَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ غَنَائِمُهَا وَأَنْفَالُهَا ، كَانَتْ تَرْتَجِي قُدُومَهُ فِي مَوَاطِنِ العَفْوِ وَالرَّحَمَاتِ، وَمَنَازِلِ الحُبِّ وَالدُّنُوِّ وَالوُصُولِ وَالقُرُبَاتِ، وَمَصَادِرِ الهِبَاتِ وَالفُتُوحَاتِ (40) وَصِدْقِ المُعَامَلاَتِ لِيَكْمُلَ بِذَلِكَ وِدُّهَا وَاتِّصَالُهَا وَتَرَقِّيهَا إِلَى أَشْرَفِ المَقَامَاتِ وَأَعَالِي الدَّرَجَاتِ، وَيَحْصُلَ لَهَا مَا كَانَتْ تَرْغَبُ فِيهِ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ وَالاِطِّلاَعِ عَلَى المُغَيَّبَاتِ، فَنَادَاهَا مُنَادِي القَدَرِ وَنَامُوسُ الفَتْحِ وَالعِزِّ وَالظَّفَرِ،

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَاثْبُتِي فِي مَوَاقِفِ المَجْدِ وَالفَخْرِ، وَمَشَاهِدِ النُّورِ وَالضِّيَاءِ المُنْتَشِرِ، وَمَوَاقِعِ نُجُومِ الوَحْيِ المُخْبِرَةِ بِمَجِيءِ عَرُوسِ المَمْلَكَةِ المُنْتَظَرِ، وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ المَمْدُوحِ فِي الوِرْدِ وَالصَّدَرِ، وَزَيْنِ الزَّيْنِ الَّذِي هُوَ كَاليَاقُوتِ بَيْنَ الحَجَرِ، وَفَاتِحَةِ فَوَاتِحِ الأَرْوَاحِ وَالصُّوَرِ، وَسِرِّ مَعَانِي الآيِ وَفَوَاتِحِ السُّوَرِ إِذْ لَهُ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا مَعْنًى ظَاهِرٌ، وَنُورٌ بَاهِرٌ، وَسِرٌّ قَاهِرٌ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ النُّورُ الَّذِي سَجَدَتِ المَلَائِكَةُ لِرُوحَانِيَّتِهِ وَهُوَ فِي صُلْبِ ءَادَمَ الَّذِي يُكَنَّى فِي الدُّنْيَا أَبَا البَشَرِ وَفِي القِيَامَةِ يُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ كَرَامَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ سِرُّ الخَلِيقَةِ (41) الآدَمِيَّةِ وَمَشْرِقُ الأَنْوَارِ السُّبُّوحِيَّةِ المَرْكُونُ حُبُّهُ فِي الخَوَاطِرِ وَالفِكْرِ، وَنَقْشُ لَوْحِ عُلُومِ الذَّاتِ العَلِيَّةِ الشَّائِعُ صِيتُهُ عِنْدَ سُكَّانِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى وَخُدَّامِ الحُجُبِ وَالسُّرَادِقَاتِ وَحَمَلَةِ العَرْشِ وَأَهْلِ البَدْوِ وَالحَضَرِ وَالمَحْبُوبُ الَّذِي قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ ءَادَمَ وَأَدْخَلَ الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ أَمَرَ جِبْرِيلَ أَنْ يَأْخُذَ تُفَّاحَةً مِنَ الجَنَّةِ وَيَعْصِرَهَا فِي حَلْقِهِ فَأَخَذَهَا وَعَصَرَهَا فِي فِيهِ فَخُلِقْتُ مِنَ النُّقْطَةِ الأُولَى أَنَا وَمِنَ الثَّانِيَةِ أَبُو بَكْرٍ وَمِنَ الثَّالِثَةِ عُمَرُ»،

إِلَى ءَاخِرِ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ السَّنَدِ وَالأَثَرِ، كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ المُحِبُّ الطَّبَرَانِي فِي رِيَاضِهِ اليَانِعِ الغُصُونِ وَالزَّهَرِ، حَيْثُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ ءَادَمَ وَأَدْخَلَ الرُّوحَ فِي جَسَدِهِ أَمَرَنِي أَنْ ءَاخُذَ تُفَّاحَةً مِنَ الجَنَّةِ وَأَعْصِرَهَا فِي حَلْقِهِ فَأَخَذْتُهَا وَعَصَرْتُهَا فِي فِيهِ فَخَلَقَ اللَّهُ مِنَ النُّقْطَةِ الأُولَى أَنْتَ وَمِنَ الثَّانِيَةِ أَبُو بَكْرٍ وَمِنَ الثَّالِثَةِ عُمَرُ وَمِنَ الرَّابِعَةِ عُثْمَانُ (42) وَمِنَ الخَامِسَةِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ فَقَالَ ءَادَمُ: يَا رَبِّ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمْتَهُمْ؟ قَالَ لَهُ: يَا ءَادَمُ هَؤُلَاءِ خَمْسَةُ أَشْيَاخٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، وَهُمْ أَكْرَمُ جَمِيعِ خَلْقِي عَلَيَّ، فَأَوَّلُهُمْ أَكْرَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُمْ أَكْرَمُ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ، فَلَمَّا عَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ بِحُرْمَةِ أُولَائِكَ الخَمْسَةِ الَّذِينَ فَضَّلْتَهُمْ إِلَّا تُبْتَ عَلَيَّ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»

انْتَهَى.

اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا بِجَاهِهِمْ عِنْدَكَ وَأَمِتْنَا عَلَى حُبِّكَ وَحُبِّهِمْ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَأَنْشَدُوا:

إِنِّي أُحِبُّ أَبَا حَفْـــصٍ وَشِيعَتَهُ ❖ كَمَا أُحِبُّ عَتِيقًا صَاحِبَ الغَارِ

وَقَدْ رَضِيتُ عَلِيًّا قُـــدْوَةً عَلَمًا ❖ وَمَا رَضِيتُ بِقَتْلِ الشَّيْخِ فِي الدَّارِ

كُلُّ الصَّحَابَةِ عِنْدِي قُدْوَةٌ عَلَمٌ ❖ فَهَلْ عَلَيَّ بِهَذَا القَـــوْلِ مِنْ عَارِ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّـــي لاَ أُحِبُّهُمْ ❖ إِلاَّ بِحُبِّكَ فَاعْتِقْنِـي مِنَ النَّارِ

فَأَكْرِمْ بِهَا مِنْ نُقْطَةٍ جَرَى بِهَا القَلَمُ فِي عَالَمِ التَّصْدِيرِ وَالتَّكْوِينِ، (43) وَنَوَّهَ الحَقُّ بِقَدْرِهَا فِي الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ وَءَايِ الكِتَابِ المُبِينِ، وَأَنْبَتَ شَجَرَتَهَا فِي رِيَاضِ الشَّرَفِ وَالعِزِّ وَالرُّسُوخِ وَالتَّمْكِينِ، وَجَعَلَ ثِمَارَهَا الأَحْمَدِيَّ يُجْنَى فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، وَمَدَحَ خُلَفَائَهَا الأَرْبَعَةِ بِأَنَّ مَنْ يُحِبُّهُمْ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ الجَزِيلِ مَا لاَ يُكَيَّفُ بِعَدٍّ وَلاَ يُحْصِيهِ ذُو النَّبَاهَةِ وَالفِطْنَةِ وَالعَقْلِ الرَّسِينِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ هَلُمَّ فَنَادِ الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَادَى اجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فَقَامَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِتَحِيَّةٍ حَيَّانِي بِهَا الجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ عَلَى يَدَيْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟ فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ زَنْدِهِ سَفَرْجَلَةً، وَالسَّفَرْجَلَةُ تُقَدِّسُ اللهَ وَتُسَبِّحُهُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلِقٍ، فَعَجِبَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ مِنْ كَلاَمِهَا وَحُسْنِ صَوْتِهَا، فَقَالَتِ السَّفَرْجَلَةُ: (44) يَا مَعَاشِرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، أَعَجِبْتُمْ مِنْ صَوْتِي وَحُسْنِ كَلاَمِي؟ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ نَبِيئًا، لَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ أَبَاكُمْ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِأَلْفِ عَامٍ ثَمَانِينَ أَلْفَ مَدِينَةٍ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ بُسْتَانٍ، فِي كُلِّ بُسْتَانٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ أَصْلٍ، مِنْ كُلِّ أَصْلٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ غُصْنٍ، فِي كُلِّ غُصْنٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ سَفَرْجَلَةٍ، تَحْتَ كُلِّ سَفَرْجَلَةٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ وَرَقَةٍ، تَحْتَ كُلِّ وَرَقَةٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لِكُلِّ مَلَكٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ رَأْسٍ، فِي كُلِّ رَأْسٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ فَمٍ، فِي كُلِّ فَمٍ ثَمَانُونَ أَلْفَ لِسَانٍ يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى وَيُقَدِّسُهُ وَيُهَلِّلُهُ، لاَ يَفْتُرُ سَاعَةً، وَأَجْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ لِمَنْ

أَحبَّ أَبَا بَكْرٍ وعُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، انْتَهَى.

أُحِـــبُّ أَبَا بَكْرٍ لِحُـــبِّ نَبِيِّنَا ❖ وَحُقَّ لَنَا حُـــبُّ الإِمَامِ المُكَـــرَّمِ
وَحُبُّ أَبِي حَفْـــصٍ عَلَيَّ مُوَكَّلٌ ❖ وَمَثْـــوَاهُ فِي جِلْدِي وَلَحْمِي وَفِي دَمِي
وَعُثْمَـــانَ قَدْ أَحْبَبْتُهُ فَوْقَ طَاقَتِي ❖ كَحُبِّ عَلِـــيٍّ فِي فُـــؤَادٍ مُخَيِّمِ
أَدِينُ بِهِ الرَّحْمَـــانَ أَرْجُـو ثَوَابَهُ ❖ وَأَخْشَـــى إِذَا خَالَفْتُهُ مِنْ جَهَنَّمِ (45)

وَرُوِيَ فِي هَذَا المَعْنَى أَيْضًا، أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ طَبَقٌ مِنْ خَيْزُرَانٍ وَفِيهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ هَدِيَّةٌ مِنَ الجَبَّارِ، إِلَى الأَرْبَعَةِ الأَخْيَارِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأُولَى، فَإِذَا عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ هَدِيَّةٌ مِنَ الرَّفِيقِ الشَّفِيقِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَرَفَعَ الثَّانِيَةَ فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ هَدِيَّةٌ مِنَ المَلِكِ الوَهَّابِ، إِلَى عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ، وَرَفَعَ الثَّالِثَةَ فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ هَدِيَّةٌ مِنَ الحَنَّانِ المَنَّانِ، إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَرَفَعَ الرَّابِعَةَ فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ هَدِيَّةٌ مِنَ القَاهِرِ الغَالِبِ، إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

قَالَ تَعَالَى:

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى»،

فَمَنْ أَحَبَّ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةَ سُقِيَ مِنْ تِلْكَ الأَنْهَارِ الأَرْبَعَةِ وَرُوِيَ أَنَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءٍ يَخَافُهَا كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى الأَنْبِيَاءُ وَهِيَ الشَّيَاطِينُ وَالحَيَّاتُ وَالقَتْلُ وَالجُوعُ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ فِي الشَّيَاطِينِ:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾،

وَأَمَّا الحَيَّاتُ (46) فَقَالَ تَعَالَى فِيهَا:

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾،

وَأَمَّا القَتْلُ فَقَالَ تَعَالَى فِيهِ:

﴿إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾،

وَأَمَّا الجُوعُ فَقَالَ تَعَالَى فِيهِ:

﴿قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾،

أَيْ: جُوعًا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الأَرْبَعَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ اسْتَسْلَمَ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَقْبَلَ مَكَانَ الحِنْشِ بِرِجْلِهِ وَسَدَّ عَنْهُ البَابَ لِئَلاَّ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَدَاهُ بِنَفْسِهِ وَأَنَّسَهُ بِأُنْسِهِ، فَضَرَبَهُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ ضَرْبَةٍ فَمَا أَحَسَّ وَلاَ تَأَوَّهَ وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ شَرِيفَةٌ، وَإِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا أَحَــدٌ.

وَأَمَّا عُمَرُ فَكَانَ الشَّيْطَانُ يَفِرُّ مِنْ حِسِّهِ، بَعْدَ أَنْ يَفِرَّ مِنَ الشَّيْطَانِ أَبْنَاءُ جِنْسِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُنَّ فَأَذِنَ لَهُ فَتَبَادَرْنَ الحِجَابَ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ، فَقَالَ لَهُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي[47] أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَضْحَكَكَ مِنِّي؟ فَقَالَ لَهُ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّوَاتِي كُنَّ عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ عُمَرُ فَقَالَ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَهُ.

وَأَمَّا عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ اسْتَسْلَمَ لِلْقَتْلِ طَالِبًا بِذَلِكَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنْ جَزِيلِ الفَضْلِ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ قَاتَلَهُمْ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ المُومِنِينَ: هَذَا سَيْفِي بِيَدِي فَمُرْنِي بِأَمْرِكَ، فَقَالَ: اكْفِنِي هَؤُلاَءِ القَوْمَ، فَانْطَلَقَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَجَهَدَ عَلَيْهِمْ جَهْدَهُ فَأَبَوْا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: قَدْ أَبَوْا فَمُرْنِي بِأَمْرِكَ، فَقَالَ لَهُ: ءَامُرُكَ أَنْ تُغْمِدَ سَيْفَكَ وَتَقْعُدَ فِي رَحْلِكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: هَذَا سَيْفِي يَا أَمِيرَ المُومِنِينَ، فَمُرْنِي بِأَمْرِكَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ كَانَ عَلَيْهِ لأَمِيرِ المُومِنِينَ حَقٌّ فَلْيُغْمِدْ سَيْفَهُ وَلْيَقْعُدْ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَفَنَدَعُ هَؤُلاَءِ القَوْمَ يَقْتُلُونَكَ؟ [48] فَقَالَ لَهُ: أُقْسِمُ عَلَيْكَ

يَا ابْنَ أَمِيرِ المُومِنِينَ أَنْ تُغْمِدَنَّ سَيْفَكَ وَأَنْ تَقْعُدَنَّ فِي رَحْلِكَ، وَمَا أَبَتْ نَفْسُهُ مِنَ القَتْلِ، وَاسْتَسْلَمَ لَهُ وَلَمْ يُشَارِكْهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الأُمَّةِ.

وَأَمَّا أَمِيرُ المُومِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَدْ رَضِيَ بِالجُوعِ، وَاسْتَسْلَمَ لَهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْءَانُ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ جَلاَلُهُ،

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا، فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

سَلاَمٌ كَنَشْرِ المِسْكِ وَالمَنْدَلِ الرَّطْبِ ❖ عَلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ إِلَى العُجْمِ وَالعُرْبِ
سَلاَمٌ مَشُوقٌ أَثْقَلَ الذَّنْبُ ظَهْرَهُ ❖ فَأُقْعِدَ أَنْ يَرْقَى إِلَى رُتْبَةِ القُرْبِ
وَمَا حِيلَةُ المُشْتَاقِ إِلاَّ بُكَاؤُهُ ❖ إِذَا لَمْ يَجِدْ سُبُلاً إِلَى رُؤْيَةِ الحِبِّ
وَإِنِّي وَتِهْيَامِي أَضَرَّ بِيَ النَّوَى ❖ وَضَاقَتْ بِيَ الدُّنْيَا وَهَيَّجَ لِي كَرْبِي
وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي الشَّوْقُ إِلاَّ بَقِيَّةً ❖ أَخَافُ عَلَيْهَا أَنْ تَعْرِضَ لِلنَّهْبِ
وَلَمْ أَحْظَ مِنْ قَبْرِ الحَبِيبِ بِزَوْرَةٍ ❖ أُعَفِّرُ مِنْهَا الوَجْهَ فِي ذَلِكَ التُّرْبِ (49)
أُقَرِّبُ شَجْوِي حَيْثُ يَنْفَعُ قُرْبُهُ ❖ وَأَشْكُو أُمُورًا ضَاقَ مِنْ حَمْلِهَا قَلْبِي
أُنَادِي حَبِيبِي عُمْدَتِي وَوَسِيلَتِي ❖ رَجَاءَنِي لِيَوْمٍ فِيهِ قَدْ يَنْقَضِي نَحْبِي
شَفِيعُ الوَرَى فِي مَوْقِفِ الحَشْرِ رَحْمَةً ❖ لِأَسْبَابِ تَكْرِيمٍ تُقَدِّمُ فِي الغَيْبِ
وَمَنْ قَدْرُهُ عِنْدَ الإِلَهِ مُعَظَّمٌ ❖ كَمَا جَاءَ تَصْرِيحًا بِهِ مُنَزِّلُ الكُتُبِ
فَكَمْ ءَايَةٍ دَلَّتْ عَلَى صِدْقِ بَعْثِهِ ❖ تُجَلُّ بِأَنْ تُحْصَى بِعَدٍّ وَلاَ كَتْبِ
أَلَيْسَ انْشِقَاقُ البَدْرِ أَعْظَمَ ءَايَةٍ ❖ وَءَايَةُ نَبْعِ المَاءِ فِي سَاعَةِ الجَدْبِ
بِأَنْمُلِهِ قَدْ سَبَّحَ اللهَ جَهْرَةً ❖ طَعَامٌ لَهُ فِي حَضْرَةِ الغُرِّ مِنْ صَحْبِ
وَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ لِأَنْ كَانَ جِسْمُهُ ❖ مِنَ النُّورِ مَخْلُوقًا مَقَالاً بِلاَ كَذْبِ
فَهَذِي أُمُورٌ بَعْضُهَا عِنْدَ ذِي الحِجَا ❖ أَتَمُّ دَلِيلٍ لِلْعِنَايَةِ مِنْ رَبِّ
فَمَاذَا يَقُولُ المَرْءُ فِي مَدْحِ سَيِّدٍ ❖ بِأَمْدَاحِهِ القُرْءَانُ فِي طَيِّهِ يُنْبِي
هُوَ البَدْرُ فِي أُفْقِ الجَلاَلِ وَصَحْبُهُ ❖ نُجُومُ هُدًى تَهْدِي المُضِلِّينَ عَنْ رَكْبِ
فَأَوَّلُهُمْ وَالحَقُّ إِنْ كَانَ أَوَّلاً ❖ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الكَرَمِ الرَّحْبِ

خَليلُ رَسُولِ اللهِ مُــــــــؤْنسُهُ لَهُ ❖ مِنَ الفَضْلِ مَا يُرْبِي عَلَى فَضْلِ ذِي لُبِّ
وَمِنْ بَعْدِهِ الفَارُوقُ ذُو الحَزْمِ وَالعُلاَ ❖ أَبُو حَفْصٍ المَعْرُوفُ فِي الحَقِّ بِالحَبِّ
وَبَعْدَهُــــمَا عُثْمَانُ أَجْلَــــلْ ❖ عَلَى كُلِّ ذِي فَضْـلٍ فَضَائِلُهُ تُرْبِي
وَرَابِعُهُمْ بَحْرُ الشَّجَاعَةِ عِنْــدَمَا ❖ تُضْــرَمُ نَارٌ لِلطِّعَانِ وَلِلْحَرْبِ (50)
عَلِيٌّ عَلِيُّ القَــــدْرِ عِلْمًا وَسُؤْدَدًا ❖ مُبِيدُ طُغَاةِ الكُفْـرِ بِالقَتْلِ وَالضَّرْبِ
مُحَمَّدُنَا خَيْـــــرُ البَرِيَّةِ كُلِّهِمْ ❖ وَأَفْضَلُ مَبْعُوثٍ وَأَكْـــرَمُ مَنْ نُبِّي
ذُنُوبِي طَمَتْ وَالنَّفْسُ مِنِّـي مَرِيضَةٌ ❖ أَخَافُ لِمَا أَسْلَفْتُ مِنْ غَضَــبِ الرَّبِّ
وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ بِكَ اليَوْمَ عُــــدَّةٌ ❖ وَظَنِّــي جَمِيلٌ أَنْ سَيُغْفَرُ لِي ذَنْبِي
فَيَــارَبِّ بِالهَادِي إِلَيْكَ وَصَحْبِهِ ❖ وَأَتْبَاعِهِمْ فِي مَشْرِقِ الأَرْضِ أَوْ غَرْبِ
بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى بِأَوْصَافِكَ العُلاَ ❖ بِأَلْــــوَاحِ مُوسَى بِالدُّنُوِّ وَبِالحُجْبِ
أَقِلْ عَثْـــرَةَ المِسْكِينِ مَا هُوَ طَالِبٌ ❖ فَفَضْلُكَ لِلرَّاجِينَ مُسْتَصْحِبَ السَّكْبِ
وَرَدِّدْ عَلَى المُخْتَــارِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ ❖ مَدَى الدَّهْرِ أَوْهَزَّ الصَّبَا مَائِسَ القُضْبِ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ المُحَمَّدِيَّةَ الأَحْمَدِيَّةَ وَالجَوْهَرَةَ النَّبَوِيَّةَ المُصْطَفَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَظْهَرُ الأَسْرَارِ القُيُّومِيَّةِ، وَمِشْكَاةُ الأَنْوَارِ السُّبُّوحِيَّةِ، وَمَادَّةُ مَوَادِّ الفُتُوحَاتِ الغَيْبِيَّةِ وَالعُلُومِ اللَّوْحِيَّةِ، كَانَتِ الأَرْوَاحُ تَنْتَظِرُ حَقَائِقَهَا فِي عَيْنِ النُّكَتِ القَلْبِيَّةِ وَلَطَائِفِ حِكَمِهَا فِي فَذْلَكَةِ التَّنَزُّلاَتِ العِنْدِيَّةِ، وَتَكْمِيلَ مَعَانِي ءَايَاتِهَا فِي فَحْوَى خِطَابِ البَشَائِرِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ وَتَتِمَّةَ مَجِيئِهَا فِي أَفْلاَكِ (51) مَطَالِعِ الأَقْمَارِ السَّعْدِيَّةِ، وَمَجَالِ خَطَرَاتِ الأَفْكَارِ وَالعُقُولِ المُنَوَّرَةِ الذَّكِيَّةِ، فَنَادَاهَا مُنَادِي،

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾،

المُنَزَّهَةِ عَنْ لَذَّاتِ الكَرَى وَعَوَارِضِ أَوْصَافِ الحُدُوثِيَّةِ وَقَالَ: كَيْفَ يَيْأَسُ وَيَقْنَطُ مَنْ يَرْتَجِي مَنْ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ المَحْبُوبِيَّةِ وَجَعَلَهُ إِمَامَ حَضْرَتِهِ القُدُّوسِيَّةِ، وَسَابِقَةَ السُّبَّاقِ إِلَى مَنَازِلِ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ وَمَوَاطِنِ الرَّحَمَاتِ اللَّاهُوتِيَّةِ لأَنَّ بِهَا قِوَامَ العَالَمِ الرُّوحَانِيِّ وَالجُثْمَانِيِّ، وَحَيَاةُ الجِسْمِ النُّورَانِيِّ وَالظُّلْمَانِيِّ، وَقَدِ انْطَبَعَتْ فِي مِرْءَاةِ شَكْلِهِ عُلُومُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَسَبَحَتْ فِي بُحُورِ فَضْلِهِ سُكَّانُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِينَ وَسَائِرُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِينَ،

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَهُوَ حاءُ الرَّحْمَةِ الوَهْبِيَّةِ وَمِيما المَمْلَكَةِ الجَلِيلَةِ القُدْسِيَّةِ وَدالُ الدَّلائِلِ الصَّادِقَةِ وَالإِرْهَاصَاتِ المَقْبُولَةِ المَرْضِيَّةِ وَحَبْلُ اللهِ المُوَصِّلُ إِلَى المَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ وَالمَقَامَاتِ السَّامِيَّةِ، وَالمَوَاهِبِ وَالفُتُوحَاتِ القُدْسَانِيَّةِ وَالمَنَازِلِ العَالِيَةِ، وَنَعِيمِ الجِنَانِ وَقُصُورِهَا المُشَرَّفَةِ وَبَسَاتِينِهَا (52) الزَّاهِيَةِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُهْطِلُ بِهَا عَلَيْنَا سَحَائِبَ رَحَمَاتِهِ الهَامِيَةِ، وَتُتْحِفُنَا بِهَا بِمَوَاهِبِ أَسْرَارِهِ الجَلِيلَةِ وَكَرَامَاتِهِ النَّامِيَةِ، وَتَغْمُرُنَا بِهَا بِمَوَادِّ إِمْدَادَاتِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ الضَّافِيَةِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِيــنَ.

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ المُسْتَخْرَجَةَ جَوْهَرَتُهَا مِنْ صَفَاءِ نُورِ الذَّاتِ القُدْسَانِي، المَجْمُوعَةَ حَقَائِقُهَا مِنْ لَطَائِفِ اللَّطَائِفِ وَأُصُولِ المَبَانِي، المُنَزَّلَةَ ءَايَاتُهَا مِنْ سَمَاءِ القُرُبَاتِ وَحَظَائِرِ القُرْبِ وَالتَّدَانِي، المُؤَيَّدَةَ شَوَاهِدُهَا بِنُورِ الفَتْحِ الرَّبَّانِي وَسِرِّ الوَحْيِ الفُرْقَانِي، كَانَتِ الأَرْوَاحُ النُّورَانِيَّةُ وَالأَشْكَالُ القُدْسَانِيَّةُ تَنْتَظِرُ قُدُومَهَا فِي مَظَاهِرِ المُلْكِ السُّلْطَانِي، وَمَصَادِرِ النُّورِ الذَّاتِي وَالكَشْفِ العِيَانِي مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونَ سَمَاءُ العُقُولِ مَبْنِيَّةً عَلَى نَتَائِجِ التَّفَكُّرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَرَزَ لِلْوُجُودِ مِنْ ءَايَاتِهِ الظَّاهِرَةِ لِلْعِيَانِ وَأَرْضُ القُلُوبِ مَدْحِيَّةً أَيْ: مُنْبَسِطَةً بِشَوَارِقِ أَنْوَارِهِ الكَثِيرَةِ (53) الضِّيَاءِ وَاللَّمَعَانِ وَجِبَالُ النُّفُوسِ مُرْسِيَةً بِأَوْتَادِ الرُّسُوخِ وَالتَّمْكِينِ فِي مَحَبَّتِهِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الرِّضَا وَالرِّضْوَانِ، وَالخُلُودِ فِي دَارِ الكَرَامَةِ وَفَرَادِيسِ الجِنَانِ وَعُيُونُ الأَرْوَاحِ مُنْفَجِرَةً بِجَدَاوِلِ الصِّدْقِ وَالتَّصْدِيقِ وَحُسْنِ النِّيَةِ فِي خِدْمَتِهِ وَخَالِصِ الإِيمَانِ، وَشَمْسُ الهُدَى مُضْحِيَةً بِأَنْوَارِ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ السَّارِي سِرُّهَا فِي سَرَائِرِ الأَرْوَاحِ وَالأَبْدَانِ وَقَمَرُ الوِلاَيَةِ مُضِيئًا بِلَمَعَانِ بَرْقِ تَوْفِيقِهِ الَّذِي بِهِ صَلاَحُ الأَحْوَالِ وَقِوَامُ الأَدْيَانِ وَكَوَاكِبُ الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ مُنِيرَةً بِمَا أُسْرِجَ فِيهَا مِنْ حُسْنِ جَمَالِهِ وَبَهَاءِ كَمَالِهِ اللَّذَيْنِ تَحَارُ فِي دَرْكِ حَقَائِقِهِمَا عُقُولُ أَرْبَابِ الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ السَّرَاتِ الأَعْيَانِ، وَصَحَابَتِهِ نُجُومِ الاهْتِدَاءِ وَمَصَابِيحِ

العُلوم وَالعرْفَان، صَلاةً تُطفئُ بهَا عَنَّا غَضبَ الرَّحمَانِ وَتَدفَعُ بهَا عَنَّا عَوارضَ السَّلْبِ وَالنُّقْصَانِ، وَتُنْجِينَا بهَا مِنْ كُلِّ مَا يُفْضِي بنَا إلَى طَرِيقِ الخِزْيِ وَالذُّلِّ وَالهوَانِ، بفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

أَوْ تَقُولُ إنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ المحَمَّدِيَّةَ (54) الظَّاهِرَةَ فِي مَظَاهِرِ القُرْبِ وَالتَّدَانِ، المُسْتَخْرَجَةَ مِنْ عَوَاطِفِ الرَّحمَاتِ وَمَوَاهِبِ الرِّضَا وَالرِّضْوَانِ، المَقْرُونَةَ بالمحَاسنِ الجَميلَةِ وَأَوْصَافِ الكمَالاتِ الجَليلَةِ الحِسَانِ، المحْفُوفَةَ ببَوَاهِرِ المُعْجزَاتِ وَبَرَاهِينِ الآيَاتِ العَظِيمَةِ القَدْرِ وَالشَّانِ، المُؤَيَّدَةَ بشَوَارِقِ أَنْوَارِ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ العَامَّةِ لِلْقَاصِي وَالدَّانِي وَجَميعِ الأَكْوَانِ، الَّتِي لَمْ يَكْتُبْهَا قَلَمٌ حَرَّكَتْهُ الأَكُفُّ وَالبَنَانُ، وَلاَ مِدَادٌ بَاشَرَتْهُ أَوَانِي الصُّنَّاعِ وَأَيْدِي الحِدْثَانِ، كَانَتْ أَرْوَاحُ المُحِبِّينَ تَنْتَظِرُ قُدُومَهَا فِي غُرَّةِ كُلِّ عَصْرٍ وَأَوَانٍ، وَتَرْجُو رُؤْيَةَ وَجْهِهَا السَّعِيدِ كَمَا بَشَّرَتْ بذَلِكَ أَكَابِرُ الأَحْبَارِ وَالقِسِّيسُونَ وَالرُّهْبَانُ فَنَادَتْهُمْ شَوَاهِدُ الآثَارِ الصَّحِيحَةِ وَءَايُ القُرْءَانِ،

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَقَدْ أَظَلَّكُمْ زَمَانُهُ المَقْرُونُ باليُمْنِ وَالأَمَانِ وَهَتَفَ بكُمْ طَائِرُ سَعْدِهِ المُبَشِّرُ بالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ فَهُوَ إنْسَانُ عَيْنِ كُلِّ إنْسَانٍ، وَحِكْمَةُ كُلِّ نَاطِقٍ بلِسَانٍ، وَسَابقَةُ السُّبَّاقِ وَالَّذِي مَنْ تَعَلَّقَ بهِ أَمِنَ مِنْ طَوَارِقِ العُقُوبَةِ وَالخُسْرَانِ، وَنَجَا مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَسُؤَالِ المَلَكَيْنِ وَخِفَّةِ المِيزَانِ، وَسَلَكَ مَسَالِكَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمُ اللهُ عَلَى كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ وَخَتَمَ لَهُمْ بالإيمَانِ. (55)

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاةً يَتْبَعُهَا رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ، وَيَعْقُبُهَا مَغْفِرَةٌ وَرِضْوَانٌ يَنْجُو بهَا المُصَلِّي مِنْ حَرِّ لَهِيبِ لَظَى وَعَذَابِ النِّيرَانِ، بفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ .

اللهُ أَكْبَرُ قَدْ بَدَا البُرْهَانُ ❖ وَسَبَا العُقُولَ جَمَالُكَ الفَتَّانُ
كُلُّ المِلاحِ وَإنْ تَنَاهَى حُسْنُهُمْ ❖ وَجَمَالُهُمْ لَكَ سَيِّدِي عُبْدَانُ
إنْ قُلْتُ قَدُّكَ كَالغُصُونِ رَشَاقَةً ❖ لَفَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا الأَغْصَانُ
وَبِحُبِّكَ الأَلْبَابُ قَدْ شَرُفَتْ ❖ كَمَا شَرُفَتْ بِسَمْعِ صِفَاتِكَ الآذَانُ

وَإِذَا ذُكِرَتْ لَدَى المُحِبِّ تَدَغْدَغَتْ ❖ بالوَجْدِ مِنْ بَدَنٍ لَـهُ الأَرْكَــانُ
وَالدَّمْعُ يَجْرِي فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ ❖ وَكَــــأَنَّهُ مِنْ حَرِّهِ نِيرَانُ
وَأَنَا المُتَيَّمُ مَــا سَلَوْتُكَ لَحْظَةً ❖ بَعْدَ الحَبِيبِ فَهَلْ حَلاَ السَّلْوَانُ
يَا سَيِّدَ الأَحْبَابِ حُبُّكَ قَدْ سَرَى ❖ فِي مُهْجَتِي أَيَجُوزُ لِي كِتْمَـانُ
أَيَصِحُّ كَتْمُ الحُبِّ بَعْدَ إِشَـاعَةٍ ❖ سَارَتْ بِهَا عَنْ عَبْدِكَ الرُّكْبَانُ
هَبْنِي وَجَدْتُ بِلَوْعَتِي طُولَ المَدَى ❖ مَاذَا شَفَى مِنْ سُقْمِيَ الوُجْدَانُ
لَكِنْ أُسَلِّــي بِالتَّنَقُّلِ مُهْجَتِي ❖ حَتَّى تَنَاهَــى لِلنَّوَى الأَزْمَانُ
لاَ صَبْرَ يُحْمَلُ فِي الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ❖ مَنْ أَشْرَقَتْ بِجَمَالِهِ الأَكْـوَانُ
مِنْ يَوْمِ مَوْلِدِهِ أَضَاءَ البَيْتُ مِنْ ❖ أَنْـوَارِهِ وَتَضَعْضَعَ الإِيوَانُ (56)
وَخُمُـودُ نَارِ الفُرْسِ وَافَى ءَايَةً ❖ لَوْلاَهُ لَــمْ تَخْمُدْ لَهَا نِيرَانُ
وَبُحَيْرَةٌ غَاضَـتْ لِسَاوَةَ حَسْرَةً ❖ مِنْ بَعْدُ وَارِدُهَـا الشَّجِيُّ ظَمْآنُ
وَالضَّـبُّ كَلَّمَهُ وَسَلَّمَ جَهْرَةً ❖ وَالظَّبْــيُ وَالأَجْمَالُ وَالذِّئْبَانُ
مِنْ لَيْلَــةِ المِعْرَاجِ فِي حَضَرَاتِهِ ❖ اخْتَصَّهُ مِــنْ رُسْلِهِ الرَّحْمَانُ
حَابَاهُ خَالاَهُ المُهَيْمِــنُ مُفْرَدًا ❖ وَلَهُ تَدَلَّى حَيْثُ لاَ أَقْــرَانُ
فَوَعَا الخِطَابَ كَمَا يَلِيقُ بِرَبِّهِ ❖ وَوَعَاهُ مِنْ بَعْدِ الفُؤَادِ لِسَــانُ
مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ تَلَقَّى العِلْمَ مِنْ ❖ أُمِّ الكِتَابِ كَأَنَّــهُ الطُّوفَانُ
يَا حُسْنَ مَوْرِدِهِ الجِنَـانَ وَفَاتِحُ ❖ أَبْوَابِــهَا لِقُدُومِهِ رِضْوَانُ
يَلْقَــاهُ بِالبُشْرَى مُطِيعًا أَمْرَهُ ❖ مِنْ قَبْلِــهِ لَمْ يَغْشَهَا إِنْسَانُ
مَعَهُ الرَّعِيلُ الأَوَّلُونَ وُجُوهُهُمْ ❖ تَلْتَاحُ كَالأَقْمَــارِ وَهِيَ حِسَانُ
مَا أَعْظَمَ الهَادِي الحَبِيبَ بِمَحْشَرٍ ❖ فَــوْقَ الجَمِيعِ لَهُ غَدَا سُلْطَانُ
وَعَلَى البُرَاقِ لَهُ السُّمُوُّ وَنَعْلُـهُ ❖ نُــورٌ تَزُولُ بِأُنْسِهِ الأَشْجَانُ
وَلِوَاؤُهُ فَــوْقَ الرُّءُوسِ ظِلاَلُهُ ❖ لِلأَنْبِيَــاءِ وَالأَوْلِيَا بُسْتَانُ
وَلِحَوْضِهِ وَلِنَهْـرِهِ طَعْمُ الجَنَا ❖ وَكَمَا النُّجُومُ لِحَوْضِهِ الكِيزَانُ
وَإِلَيْهِ جِذْعُ النَّخْــلِ حَنَّ قَلْبُهُ ❖ مِنْ فَقْدِ طَهَ المُصْطَفَـى حَيْرَانُ
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا هَبَّ الصَّبَا ❖ فَتَمَايَلَتْ فِي رَوْضِهَا الأَفْنَانُ (57)
ثُمَّ الرِّضَا عَنْ ءَالِـهِ وَصِحَابِهِ ❖ مَا يَعْبَقُ الأَزْهَارُ وَالــرَّيْحَانُ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ الَّتِي ابْتَهَجَ وَجْهُ الزَّمَانِ بِخَالِهَا البَهِيِّ الأَسْنَى، وَخَجِلَ

البُرْهَمَانُ وَالكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ مِنْ نُعُوتِهَا الجَمِيلَةِ وَأَوْصَافِ كَمالاتِهَا الحُسْنَى، وَخطِفَتْ بِلَوامِعِ جَذَبَاتِهَا وَشَطحَاتِهَا عُقُولَ المُشْتَاقِينَ إِلى حَيِّ العَقِيقِ وَالبَانِ وَمَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، كَانَتْ أَرْوَاحُ العَاشِقِينَ تَنْتَظِرُ قُدُومَهَا فِي مَنَازِلِ الدُّنُوِّ وَالقُرْبِ وَمَقَامَاتِ الوِصَالِ الرَّائِقَةِ المَعَاهِدِ وَالمَغْنَى، فَنَادَاهُمْ مُنَادِي الحِسِّ وَالمَعْنَى، مَا فَائِدَةُ الاِسْتِعْجَالِ، يَا أَهْلَ الأُنْسِ وَالاِدْلالِ، وَالأَفْرَادِ المُتَلَوِّنِينَ بِوارِدَاتِ الشَّطحَاتِ وَالجَذَبَاتِ وَخَوَاطِفِ الأَحْوَالِ، فَإِنَّ مَا كُتِبَ لَكُمْ مِنْ مُشَاهَدَةِ خَاتِمَةِ الأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الأَرْسَالِ يَصِلُكُمْ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَلاَ اسْتِعْجَالٍ، وَإِنَّمَا هُوَ (58) فَضْلٌ وَعَدَكُمْ بِهِ مَوْلاَكُمْ الكَبِيرُ المُتَعَالِ، وَخَصَّكُمْ بِهِ قَبْلَ نَفْخِ الأَرْوَاحِ فِي الأَجْسَامِ وَتَصْوِيرِ النُّقَطِ وَالأَشْكَالِ، فَاثْبُتُوا وَقِفُوا فِي مَقَامِ الضَّرَاعَةِ وَالإِبْتِهَالِ، حَتَّى تَظْفَرُوا بِبُلُوغِ القَصْدِ وَنَيْلِ الآمَالِ، وَتَفُوزُوا بِرُؤْيَةِ وَجْهِ الحَبِيبِ الَّذِي يَوَدُّ المَرْءُ أَنْ يُحَصِّلَ رُؤْيَتَهُ بِبَذْلِ النَّفْسِ وَتَرْكِ الأَهْلِ وَالأَوْلاَدِ وَكَرَائِمِ الأَمْوَالِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ العَاشِقَ الشَّائِقَ، وَالمُحِبَّ الذَّائِقَ، يَسْتَعْجِلُ أَبَدًا رُؤْيَةَ مَحْبُوبِهِ وَيَرْغَبُ فِي حُصُولِهَا قَبْلَ فَوَاتِ العُمْرِ وَحُلُولِ الآجَالِ، وَلاَ يَبْرَحُ يَرْغَبُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى يَرَاهُ رُؤْيَةَ مُشَاهَدَةٍ وَعِيَانٍ، وَيَنَالَ مِنْهُ مَا أَمَّلَ مِنَ التُّحَفِ النَّفِيسَةِ الَّتِي تَنْشَرِحُ لَهَا الصُّدُورُ وَتَقَرُّ بِهَا الأَعْيَانُ وَيَظْفَرَ مِنْهُ بِمَا يَسُرُّهُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ مِنَ المَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ وَالمَرَاتِبِ العَالِيَةِ (59) وَمَوَاهِبِ الرِّضَا وَالرِّضْوَانِ، وَبَشَائِرِ الأَمْنِ وَالسَّعَادَةِ وَاليُمْنِ وَالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ، فَيَالَهَا مِنْ نُقْطَةٍ مُحَمَّدِيَّةٍ أَحْمَدِيَّةٍ بَلَغَتْ حَدَّ الإِعْجَازِ، وَسِيَادَةٍ نَبَوِيَّةٍ مُصْطَفَوِيَّةٍ، بَهَرَتْ فَضَائِلُهَا وَفَوَاضِلُهَا صَرِيحَ الكِنَايَةِ وَرُمُوزَ الأَلْغَازِ وَعِنَايَةٍ شَرِيفَةٍ مَوْلَوِيَّةٍ، صَدَّقَتْ أَحَادِيثُ مَوَاعِدِهَا بَشَائِرَ النَّشْأَةِ وَدَلاَئِلَ البَعْثَةِ وَمَصَادِرَ الإِنْجَازِ، وَوِلاَيَةٍ كَامِلَةٍ مُنِيفَةٍ، وَضَّحَتْ كَرَائِمُهَا وَمُعْجِزَاتُهَا أَنْوَارَ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ، وَالآثَارِ الصَّحِيحَةِ المُؤَسَّسَةِ قَوَاعِدُهَا عَلَى أُصُولِ الحَقِيقَةِ لاَ المَجَازِ، وَبَذْرَةٍ جَلِيلَةٍ لَطِيفَةٍ، نَبَتَتْ شَجَرَتُهَا الكَرِيمَةُ فِي أَرْضِ تِهَامَةَ وَنَجْدٍ وَنَشَرَتْ ذَوَائِبَهَا عَلَى جَمِيعِ الأَقَالِمِ، فَظَهَرَ نُورُهَا فِي مَعَالِمِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَحَيِّ العَقِيقِ وَالبَانِ وَالحِجَازِ، وَيَا لَهَا مِنْ نَسَمَةٍ تِهَامِيَّةٍ نَجْدِيَّةٍ، وَمَوْهِبَةٍ مُبَارَكَةٍ جَسِيمَةٍ سَعْدِيَّةٍ (60) تَضَاعَفَتْ أَشْوَاقُ صَبٍّ كَلِفٍ بِرُؤْيَةِ مَعَالِمِهَا وَأَطْلاَلِهَا فَتَرَكَ دَوَاعِيَ التَّرَاخِي وَالتَّوَانِي وَجَلَسَ لِخِدْمَتِهَا عَلَى أَوْفَازٍ، فَهِيَ الجَوْهَرَةُ الفَرْدِيَّةُ الَّتِي لاَ تَقْبَلُ الاِنْقِسَامَ، وَالشَّكْلَةُ النُّورَانِيَّةُ الَّتِي حَلَّتْ مَحَبَّتُهَا فِي القُلُوبِ مَحَلَّ

الأَرْوَاح فِي الأَجْسَام، وَالمَوْهِبَةُ الرَّحْمَانِيَّةُ الَّتِي تَزَيَّنَتِ الحُرُوفُ وَالأَسْمَاءُ بِزِينَةِ نُقْطَتِهَا تَزَيُّنَ الحُلَلِ بِالطِّرَازِ، وَفَرِحَتِ العُشَّاقُ بِرُؤْيَةِ مَوَاطِنِهَا السَّعِيدَةِ وَبِقَاعِهَا المُنَوَّرَةِ فَرَحَ العَدِيمِ بِوُجُودِ الكَنْزِ وَدَفِينَةِ الرِّكَازِ، فَيَا سَعَادَةَ مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهَا المُحَمَّدِيِّ وَامْتَزَجَتْ مَحَبَّتُهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ فَقَدْ ظَفِرَ وَاللهِ بِالحَظِّ الوَافِرِ مِنْ رِضْوَانِهَا الأَكْبَرِ وَفَازَ، وَيَا شَرَفَ مَنِ انْتَمَى إِلَى جَنَابِهَا العَلِيِّ وَسَرَى سِرُّهَا فِي صَمِيمِ فُؤَادِهِ فَنَالَ مَا أَمَّلَ مِنْ خَيْرَاتِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ وَحَازَ، (61) وَيَا فَوْزَ مَنْ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ وِدَادِهَا المُصْطَفَوِيِّ فَكَانَ لَهُ عَلَى قَنْطَرَةِ سُنَنِهَا المُحَمَّدِيِّ العُبُورُ إِلَى دَارِ الكَرَامَةِ وَالجَوَازِ فَهَنِيئًا لَهُ ثُمَّ هَنِيئًا لَهُ عَلَى مَا أَكْرَمَهُ بِهِ مَوْلَاهُ بِجَاهِهَا مِنَ الجَلَالَةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّشْرِيفِ وَالإِعْزَازِ، وَمَا مَنَحَهُ بِبَرَكَتِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الهَنَاءِ وَالسُّرُورِ، وَالبَسْطِ وَالمَفَازِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ النُّقْطَةِ الأَحْمَدِيَّةِ العَدِيمَةِ النَّظِيرِ وَالشَّبِيهِ فِي النُّقَطِ المَعْصُومَةِ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّيْدِ وَالنَّقْصِ وَالغَلَطِ، المُطَرَّزَةِ أَخْبَارُهَا بِالأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ السَّالِمَةِ تَرَاكِيبُهَا مِنَ التَّحْرِيفِ اللَّحْنِ وَالشَّطَطِ، المُزَيَّنَةِ مَحَاسِنُهَا بِأَنْوَارِ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ تَزَيُّنَ الفِرَاشِ بِالنَّمَطِ، عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُقِيمَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (62) بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ وَنَظَرَ إِلَى بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ وَحِلْمِهِ وَوَقَارِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ وَكَثْرَةِ أَنْوَارِهِ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ العَرْشِ فَرَأَى فِي سُرَادِقَاتِهِ نُورًا عَظِيمًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَنْ يَكُونُ هَذَا الَّذِي أَلْبَسْتَهُ هَذَا البَهَاءَ وَالجَمَالَ وَالوَقَارَ، وَأَعْطَيْتَهُ هَذَا العِلْمَ وَالحِلْمَ وَالتَّعْظِيمَ وَكَثْرَةَ الأَنْوَارِ، وَرَأَى لَهُ خَاتَمًا يُضِيءُ كُنُوزَ الشَّمْسِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ يَا ءَادَمُ، هَذَا حَبِيبِي وَصَفِيِّي وَخِيرَتِي مِنْ خَلْقِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ءَادَمُ: وَمَنْ مُحَمَّدٌ يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: يَا ءَادَمُ هُوَ مِنْ ذُرِّيَتِكَ، فَقَالَ: وَمَنْ هُوَ مُحَمَّدٌ يَا رَبِّ؟ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى، وَهُوَ سِرَاجُ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِنُورِهِ نَجَا وَكَانَ مَعَهُ فِي الجَنَّةِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلَاةً تَكُونُ لَنَا وِقَايَةً مِنَ الأَفْعَالِ الرَّدِيَّةِ وَجُنَّةً، وَتَحْفَظُنَا بِهَا مِنْ مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ وَالإِنْسِ (63) وَالجِنَّةِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ الشَّرِيفَةَ الأَحْمَدِيَّةَ، المَيْمُونَةَ السَّعِيدَةَ السَّعْدِيَّةَ، الَّتي انْشَقَّتِ الأَسْرَارُ مِنْ فَلَقِ صُبْحِ ذَاتِهَا المَلَكُوتِيَّةِ، وَانْفَلَقَتِ الأَنْوَارُ مِنْ شَوَارِقِ أَنْوَارِهَا السُّبُّوحِيَّةِ القُدُّوسِيَّةِ، وَأَيْنَعَتْ بِسُقْيَاهَا أَزَاهِرُ الأَخْيَارِ وَالأَبْرَارِ وَسَائِرُ الأَرْوَاحِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، وَتَعَطَّرَتْ بِرَيَّاهَا مَجَالِسُ سُكَّانِ الصَّفِيحِ الأَعْلاَ وَجُلَسَاءُ الحَضَرَاتِ المُنَوَّرَةِ العِنْدِيَّةِ، قَدْ شَرَّفَ اللهُ قَدْرَهَا بِتِلْكَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ المَرْوِيَّةِ وَالآثَارِ الجَلِيلَةِ النَّبَوِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنْقُولاً بِالمَعْنَى قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَنُورُ الوَحْيِ يَلُوحُ عَلَى جَبِينِهِ المُشْرِقِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ أَوْ شَمْسُ الضُّحَى المُنِيرَةِ البَهِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَبْيَنَ فَضْلَكَ وَأَحْسَنَ بُشْرَاكَ، وَأَطْيَبَ رَائِحَتَكَ وَأَبْهَى وَجْهَكَ، وَأَتَمَّ (64) عَقْلَكَ وَأَصْدَقَ قَوْلَكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ مَا دَامَ سِرُّكَ يَسْرِي فِي عَوَالِمِ الأَرْوَاحِ العَرْشِيَّةِ وَالفُرْشِيَّةِ، وَصُوَرِ الافْتِتَاحِ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، فَقَالَ:

«يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي اشْتَقَّ اللهُ اِسْمِي مِنْ اِسْمِهِ فَاللهُ مَحْمُودٌ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ وَلاَ فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ نُورِهِ، فَسَجَدَ لِلَّهِ نُورِي وَبَقِيَ فِي سُجُودِهِ سَبْعَمِائَةِ عَامٍ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَجَدَ لِلَّهِ نُورِي وَلاَ فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي خَلَقَ اللهُ العَرْشَ مِنْ نُورِي وَالكُرْسِيَّ مِنْ نُورِي، وَاللَّوْحَ وَالقَلَمَ مِنْ نُورِي، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ مِنْ نُورِي، وَالعَقْلَ الَّذِي فِي رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ مِنْ نُورِي، وَنُورَ المَعْرِفَةِ الَّتِي فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ مِنْ نُورِي وَلاَ فَخْرَ، فَطِبْ نَفْسًا يَا ابْنَ الخَطَّابِ وَقَرَّ عَيْنًا بِمَا مَنَحَكَ اللهُ مِنَ الاِطِّلاَعِ عَلَى عُلُومِ ذَاتِي، وَأَوْصَافِ كَمَالاَتِي، وَخُصُوصًا مُرَافَقَتِي وَصُحْبَتِي وَمُضَاجَعَتَكَ (65) لِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي لَمَّا خَلَقَ اللهُ العَرْشَ اضْطَرَبَ وَلَمْ يَسْكُنْ حَتَّى كَتَبَ اِسْمِي مَعَ اِسْمِهِ عَلَى سَاقِهِ وَهُمَا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَنَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ بِسَبْعِينَ أَلْفَ عَامٍ وَلاَ فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي كَشَفَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الحِجَابَ، وَقَرَّبَنِي فِي مَقَامِ الدُّنُوِّ وَالاقْتِرَابِ، حَتَّى رَأَيْتُهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِي كِفَاحًا دُونَ حَاجِبٍ وَلاَ بَوَّابٍ، وَلاَ مَانِعَ يَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ الخِطَابِ وَرَدِّ الجَوَابِ وَلاَ فَخْرَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي قَالَ لِي جِبْرِيلُ: أَتَدْرِي لأَيِّ شَيْءٍ أَمَرَ اللهُ المَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ فَسَجَدُوا، إِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَعْظِيمَكَ إِذْ كُنْتَ فِي صُلْبِهِ وَلاَ فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا لُبَابُ اللُّبَابِ، وَمَوْهِبَةُ المَلِكِ الوَهَّابِ وَفَجْرُ الحَقِّ

الْمُجْلِي بِنُورِهِ عَنِ الْقُلُوبِ ظَلَامَ الشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ، وَدَاعِي الْخَلْقِ إِلَى اللهِ قَبْلَ تَكْوِينِهِمْ فِي بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ وَتَقَلُّبِهِمْ فِي الْأَصْلَابِ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي بَادَرْتُ إِلَى الْجَوَابِ (66) بِالْإِقْرَارِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ حَيْثُ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ:

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

قَالُوا: بَلَى، فَقُلْتُ: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا فَاسْتَحْسَنَ اللهُ ذَلِكَ مِنِّي فَأَمَرَهُمْ وَأَمَرَ الْبَهَائِمَ فَسَجَدُوا لِنُورِي، وَلِذَلِكَ كَانَتِ الْبَهَائِمُ إِذَا رَأَتْ نُورِي وَأَنَا فِي أَصْلَابِ آبَائِي وَأَجْدَادِي قَدْ تَشَعْشَعَ فِي جِبَاهِهِمْ تَسْجُدُ لَهُ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا بُغْيَةُ الطُّلَّابِ وَمُنْيَةُ الْأَصْحَابِ، وَعُمْدَةُ الْأَنْجَابِ وَسِرَاجُ الْأَوْتَادِ وَالْأَقْطَابِ، وَالْحَبِيبُ الْمَذْكُورُ فِي أَوَّلِ سَطْرٍ رُسِمَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي مِنْ أَجْلِي أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْأُمَمِ بِالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِي وَفَضْلِي، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾،

أَيْ: فِي آخِرِ الزَّمَانِ (67)

﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾،

مِنْ نَعْتِهِ وَصِفَتِهِ كَذَا،

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾،

قَالَ تَعَالَى:

﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾،

بِأَنَّ خِيرَتِي مِنْ خَلْقِي وَصِفْوَتِي مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ،

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾،

أَيْ:عَهْدِي وَمِيثَاقِي،

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾،

وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِي مُحَمَّدٌ

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾،

وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا شَرِيفُ الأَنْسَابِ، وَكَرِيمُ الأَحْسَابِ، وَقُرَّةُ أَعْيُنِ الأَصْحَابِ وَالأَحْبَابِ، وَمَحَلُّ العِلْمِ وَالحِلْمِ وَالصَّلَاحِ وَالآدَابِ وَالمَهْدِيُّ الهَادِي العِبَادَ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالخَيْرِ وَالصَّوَابِ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي مِنْ أَجْلِي نَصَرَ اللهُ نُوحًا عَلَى قَوْمِهِ وَأَخْرَجَهُ مِنَ السَّفِينَةِ بِالسَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ، وَلَمَّا كَتَبَ اسْمِي عَلَى السَّفِينَةِ قَالَتِ (68) السَّفِينَةُ: أَلَا كُلُّ مَنْ دَخَلَنِي فَهُوَ فِي أَمَانِ اللهِ حَتَّى يَخْرُجَ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي أَشْهَدَنِي الحَقُّ حُسْنَ جَمَالِهِ بِغَيْرِ نِقَابٍ، وَسَقَانِي مِنْ خَمْرِ مَحَبَّتِهِ لَذِيذَ الشَّرَابِ، وَكَلَّمَنِي مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مُكَالَمَةَ بَشَاشَةٍ وَتَرْحِيبٍ حِينَ دَعَانِي إِلَى حَضْرَتِهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَايَ فِي الذَّهَابِ وَالإِيَابِ، وَقَالَ لِي: سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَنْتَ لَدَيْنَا رَفِيعُ القَدْرِ وَالجَنَابِ،

﴿وَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾،

وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي لَمَّا دَعَا صَالِحٌ رَبَّهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهُ النَّاقَةَ مِنَ الصَّخْرَةِ، أَدْخَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيشَةً مِنْ رِيشِ جَنَاحَيْهِ تَحْتَ الصَّخْرَةِ فَرَفَعَ الصَّخْرَةَ قَلِيلاً عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَالصَّخْرَةُ فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، وَقِيلَ: أَخَذَهَا، فَقَالَ لَهَا صَالِحٌ: بِحَقِّ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ إِلَّا تَحَرَّكْتِ، فَلَمَّا قَالَهَا خَرَجَتِ النَّاقَةُ مِنَ الصَّخْرَةِ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا ﴿69﴾ الأَوَّلُ فِي الذِّكْرِ، وَأَنَا الأَوَّلُ فِي البَعْثِ وَأَنَا الرَّسُولُ الأُمِّيُّ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا عَيْنُ الأَعْيَانِ، وَسِرَاجُ الأَكْوَانِ، وَمِرْآةُ الشُّهُودِ وَالعِيَانِ وَمَوْهِبَةُ الفَضْلِ وَالامْتِنَانِ، وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ وَلِوَائِي يَعُمُّ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ، وَالأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا حَيَاةُ الأَرْوَاحِ وَالأَبْدَانِ، وَغُرَّةُ العَصْرِ وَالأَوَانِ، وَحَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ وَحَبِيبُ الرَّحْمَانِ، وَمَلَاذُ الاعْتِصَامِ وَحِصْنُ الأَمْنِ وَالأَمَانِ،

وَكِتَابُ العَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ الشَّهِيرُ البَرَكَةِ وَالعُنْوَانِ، وَلَا فَخْرَ، يَا ابْنَ الخَطَّابِ أَتَدْرِي مَنْ أَنَا، أَنَا الَّذِي اِسْمِي فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ وَفِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ وَفِي البِحَارِ المَاحِي وَفِي القِيَامَةِ الحَاشِرُ وَفِي الجَنَّةِ أَبُو القَاسِمِ وَفِي النَّارِ العَاقِبُ»(70)

أيْ:لا يَكُونَ عقِبي نَبيٌّ وَلا فَخر.

تَوَاتَرَتِ النُّقُولُ عَن الثِّقَاتِ	فَإنَّكَ فِي البَهَا فَرْدُ الصِّفَاتِ
تَلَوْتَ لِنَاظِرٍ ءايَاتِ حُسْنٍ	بِوَجْهِكَ لَمْ يُطِقْ حَمْلَ الثَّبَاتِ
تَوَجَّهَتِ البَصَائِرُ شَائِقَاتٍ	ذَاتَكَ دُونَ أَرْبَابِ الذَّوَاتِ
تَعَاهَدَتِ القُلُوبُ عَلَى انْجِذَابٍ	إلَيْكَ بِطِيبِ قُرْبِكَ طَامِعَاتِ
تَرَوَّتْ مِنْكَ أَرْوَاحُ البَرَايَا	كَمَا تُرْوَى البَسَاتِنُ بِالفُرَاتِ
تَأَصَّلَ مِنْكَ أَصْلُ الخَيْرِ قِدْمًا	فَخَيْرُكَ مَنْ مَضَى يَرْوِي وَءاتِ
تَبَارَكَ مَنْ أَنَالَكَ كُلَّ خَيْرٍ	وَأَعْطَى مِنْكَ إمْدَادَ الهِبَاتِ
تَجُودُ عَلَى الأَسَافِلِ وَالأَعَالِي	وَتُحْسِنُ لِلأَرَاذِلِ وَالسَّرَاتِ
تَمَامُ كَمَالِ مَدْحِكَ لَيْسَ يُحْصَى	فَفَوْقَ الرَّمْلِ ذَلِكَ وَالنَّبَاتِ
تَوَالَى حُبُّكَ الأَغْلَى بِقَلْبِي	فَهِمْتُ بِهِ خَطِيبًا فِي الهُدَاتِ
تَتَابَعَتِ الصَّلاةُ عَلَيْكَ دَهْرًا	وَءالِكَ وَالصِّحَابِ ذَوِي العُلاَتِ

أَوْ تَقُولُ إنَّ هَيَاكِلَ أَسْمَائِهِ الكَرِيمَةَ المُبَارَكَةَ الجَسِيمَةَ العَظِيمَةَ القَدْرِ الفَخِيمَةَ الَّتِي سَمَّاهُ بِهَا مَوْلاَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ العَزِيزِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ (71) بِهَا فِي كَلاَمِهِ الرَّائِقِ الوَجِيزِ، وَهِيَ:

﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَشْقَى﴾،

وَ ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾

الَّتِي تَدُلُّ حُرُوفُهَا عَلَى شَرَفِ ذَاتِهِ الطَّاهِرَةِ وَقَلْبِهِ المُنَوَّرِ الأَتْقَى، وَرِفْعَةِ جَاهِهِ وَعُلُوِّ جَنَابِهِ المُعَظَّمِ الأَتْقَى، كَانَتْ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي فَضَاءِ الطَّاءَاتِ النُّورَانِيَّةِ، وَغَيْبِ هُوِيَةِ الهَاءَاتِ القُدْسَانِيَّةِ، كَمَا أَخْبَرَ شَاهِدُ الحَقِّ بِقُدُومِهِ مِنَ القِدَمِ إلَى القَدَمِ، وَمِنَ القَدَمِ إلَى نُفُودِ القَضَاءِ وَانْبِرَامِ الأَمْرِ المُحْكَمِ، وَذَلِكَ حِينَ أَخْرَجَ

رُوحَهُ مِنْ نُورِ الغَيْبِ وَلَطَائِفِ السِّرِّ المُكْتَتَمِ، وَطَارَ بِهَا فِي دَائِرَةِ هُوِيَّةِ الغَيْبِ لِطَلَبِ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ العَلِيَّةِ، وَمُشَاهَدَةِ الصِّفَاتِ القَدِيمَةِ الأَزَلِيَّةِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الحَقِّ بِالحَقِّ، فَوَجَدَ الحَقَّ بِالحَقِّ، وَعَلِمَ مِنَ الحَقِّ بِالحَقِّ مَا فِي الحَقِّ، فَنَادَاهَا مُنَادِي الحَقِّ مِنَ الحَقِّ،

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،

فَاصْبِرْ فَإِنَّهُ مُرَادِي مِنَ الخَلْقِ، وَهَادِي الخَلْقِ إِلَى طَرِيقِ الحَقِّ فَقَدْ طَوَيْتُ تَحْتَ حُرُوفِ أَسْمَائِهِ سِحْرَ الأَزَلِيَّاتِ (72) وَالأَبَدِيَّاتِ، وَنَتَائِجَ أَسْرَارِ الجُزْئِيَّاتِ وَالكُلِّيَّاتِ، وَرَقَّيْتُهُ فِي مَرَاقِي التَّجَلِّيَاتِ الاِخْتِصَاصِيَّةِ وَأَفْضَلِ مَقَامَاتِ التَّدَلِّيَّاتِ، حَتَّى كَانَ مِنِّي قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، وَكَسَوْتُهُ بِحُلَلِ رُبُوبِيَتِي وَطَوَّقْتُهُ بِجَوَاهِرِ صِفَاتِي وَأَسْمَائِي الحُسْنَى، فَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ الشَّرِيفِ الأَسْنَى، الطَّاهِرِ الرَّائِقِ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى، فَهُوَ بَدْرُ أُفُقِ سَمَاوَاتِ القِدَمِ وَغَوَّاصُ قَامُوسِ الكَرَمِ، الَّذِي طَاشَتِ العُقُولُ فِي إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ رُتْبَتِهِ وَهَامَتِ القُلُوبُ فِي أَوْدِيَةِ مَحَبَّتِهِ، وَطَارَتِ الأَرْوَاحُ شَوْقًا لِزِيَارَةِ مَقَامِهِ وَالطَّوَافِ بِكَعْبَتِهِ، قَالَ الوَاسِطِي: أَمَّا اسْمُهُ طَهَ فَمُسْتَخْرَجٌ مِنَ الطَّاهِرِ الهَادِي، أَيْ: أَنْتَ طَاهِرٌ بِنَا هَادٍ إِلَيْنَا، انْتَهَى.

وَأَمَّا اسْمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يس فَقَدْ سَمَّاهُ بِهِ مَوْلَاهُ تَشْرِيفًا لِمَقَامِهِ العَظِيمِ، وَتَنْوِيهًا بِقَدْرِهِ الرَّفِيعِ وَعُلُوِّ جَاهِهِ الفَخِيمِ، وَأَقْسَمَ عَلَى رِسَالَتِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الكَرِيمِ بِقَوْلِهِ:

﴿يس وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾ إِلَى ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،

فَافْهَمْ يَا عَاقِلُ مَا خَاطَبَهُ بِهِ (73) مَوْلَاهُ السَّمِيعُ العَلِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، مُخَاطَبَةَ مُوَاجَهَةٍ فِي بِسَاطِ رُبُوبِيَّتِهِ وَتَقْدِيمٍ، وَتَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ بَعْدَ شَرَفِ القَسَمِ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ لِأَنَّ المُقْسَمَ بِهِ قَدِيمٌ، وَالقَسَمُ بِالقِدَمِ مُظْهِرٌ لِمَزِيَّةِ جَنَابِهِ الوَسِيمِ، وَرِفْعَةِ جَاهِهِ المُفَخَّمِ الجَسِيمِ، وَلَيْسَ القَسَمُ بِشَيْءٍ خَرَجَ مِنَ العَدَمِ مِثْلَ شَرَائِعِهِ وَفَضَائِلِهِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا دِينُهُ القَوِيمُ، وَشَرْعُهُ الكَامِلُ العَمِيمُ، ثُمَّ إِنَّ اليَاءَ فِي يس يُشِيرُ بِهَا إِلَى يَوْمِ المِيثَاقِ المَأْخُوذِ فِيهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِالإِيمَانِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَالسِّينُ يُشِيرُ بِهَا إِلَى سِرِّهِ مَعَ مَوْلَاهُ الَّذِي أَمَرَهُ بِكَتْمِهِ عَلَى جَمِيعِ

خَلْقِهِ، وَسِرِّهِ الَّذي أَمَرَهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَسِرِّهِ الَّذي أَوْدَعَهُ فِي غَيْبِ هُوِيَّتِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي سَرَائِرِ المُحِبِّينَ فِيهِ وَالمَحْبُوبِينَ لَدَيْهِ مِنْ سَائِرِ الأَوْتَادِ وَالأَنْجَابِ وَالصُّلَحَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَجَمِيعِ الأَقْطَابِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: أُقْسِمُ بِيَاءِ يَوْمِ المِيثَاقِ الَّذي أَخَذْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ فِيهِ الإِيمَانَ بِكَ يَا أَحْمَدُ وَبِسِينِ السِّرِّ الَّذي أَوْدَعْتُ فِيكَ وَخَصَّصْتُكَ بِهِ، وَبِالقُرْءَانِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ: أَرَادَ بِيس يَا سَيِّدِي مُخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ (74) عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ:

«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ ءَادَمَ»،

وَلَمْ يَمْدَحْ بِذَلِكَ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَخْبَرَ عَنْ مُخَاطَبَةِ اللهِ إِيَّاهُ بِقَوْلِهِ:

﴿يس وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ﴾،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِثَلاَثِ صِفَاتٍ بِالقُدْرَةِ وَسَنَا الرُّبُوبِيَّةِ، وَالكَلاَمِ الأَزَلِيِّ فِي قَوْلِهِ:

﴿يس وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،

أَوْ تَقُولُ أَنَّ اليَاءَ مِنْ يَس يَاءُ يَاسَمِينِ قُدْسِهِ، وَالسِّينُ سُنْبُلُ أُنْسِهِ، وَقَدْ أَقْسَمَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ:

﴿يس وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ﴾،

إِنَّهُ قَالَ: يَا يَاسَمِينَ قُدْسِي وَسُنْبُلَ أُنْسِي،

﴿وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،

أَوْ تَقُولُ اليَاءُ مِنْ سِينِ يَاءِ يَنْبُوعِ مَوَادِّ إِمْدَادَاتِهِ الَّتِي أَيْنَعَ اللهُ بِسُقْيَاهَا بَسَاتِينَ جِنِّهِ وَإِنْسِهِ، وَالسِّينُ سِينُ سِرِّهِ الَّذي دَعَا بِهِ عَلَى مَيِّتٍ فَأَحْيَاهُ اللهُ لَهُ بَعْدَ حُلُولِهِ بِرَمْسِهِ، أَوْ تَقُولُ اليَاءُ مِنِ اسْمِهِ يَس يَاءُ يَمِينِهِ الَّتِي كَانَ يُشْفِي بِهَا ذَوِي العَاهَاتِ بِلَمْسِهِ وَالسِّينُ سِينُ سَفَرِهِ إِلَى زِيَارَةِ حَضْرَةِ مَوْلاَهُ الَّتِي كَانَ يَسْمَعُ فِيهَا خِطَابَهُ

فَيَغِيبُ عَنْ حِسِّهِ وَأَبْنَاءِ جِنْسِهِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُطْعِمُنَا بِهَا مِنْ شَهْدِ حَقَائِقِهِ المُحَمَّدِيَّةِ وَثِمَارِ غَرْسِهِ، وَتَسْقِينَا بِهَا مِنْ رَحِيقِ وِدَادِهِ المَخْتُومِ فِي قَوَارِيرِ مَحَبَّتِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ وَمُدَامِ كَأْسِهِ، وَتُنْجِينَا بِهَا مِنْ نَكَبَاتِ الزَّمَانِ وَزَلاَزِلِهِ وَأَهْوَالِهِ وَشُؤْمِهِ وَنَحْسِهِ، وَتَحْفَظُنَا بِهَا مِنْ فِتَنِهِ وَمَصَائِبِهِ وَوَبَالِهِ وَرِجْسِهِ، بِفَضْلِكَ (75) وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

وَقُلْتُ فِي هَذَا المَعْنَى عَلَى سَبِيلِ الإِشَارَةِ وَمُوَافَقَةِ مَعْنَى اللَّفْظِ لِلْعِبَارَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ هَذِهِ الحُرُوفُ مِنْ كَمَالاَتِ سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ النِّذَارَةِ وَالبِشَارَةِ، اعْلَمْ أَيَّدَكَ اللهُ يَا أَخِي بِنُورِ الهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ المَحَبَّةِ فِي سَيِّدِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمَالِ النِّيَةِ وَالتَّصْدِيقِ، أَنَّ هَذِهِ الأَسْمَاءَ وَالحُرُوفَ، وَالنُّقَطَ وَالأَشْكَالَ المَكْتُوبَةَ فِي الصُّحُفِ وَالأَوَانِي وَالظُّرُوفِ، المُشَارَ بِهَا إِلَى كَمَالاَتِ أَوْصَافِ بَهْجَةِ المَحَاسِنِ وَالصُّفُوفِ، وَقِبْلَةِ الدُّعَاءِ وَرَفْعِ الكُفُوفِ سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى حَصْرِ أَوْصَافِهِ الذَّاتِيَةِ وَشَمَائِلِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ الثَّابِتِ مِنْهَا وَالمَحْذُوفِ، وَالخَاصِّ وَالعَامِّ وَالمُبْهَمِ وَالمَعْرُوفِ، وَالمُطْلَقِ وَالمُقَيَّدِ وَالمَرْوِيِّ وَالمَوْقُوفِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ كَمَا لاَ نِهَايَةَ لِكَمَالاَتِ مَوْلاَنَا الكَثِيرِ الإِحْسَانِ وَالمَعْرُوفِ، كَذَلِكَ لاَ نِهَايَةَ لِمَا مَنَحَ لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الفَضْلِ وَالجُودِ وَالكَرَمِ وَكَمَالِ (76) الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى فِي يَوْمِ العَرْضِ وَالوُقُوفِ، فَالطَّاءُ مِن اسْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَهَ طَاءُ الطَّهَارَةِ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، وَالهَاءُ هَاءُ هَيُولَى الأَرْوَاحِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، وَاليَاءُ مِنْ يَس يَاءُ يَدِ القُدْرَةِ الأَزَلِيَّةِ وَالتَّصَرُّفَاتِ المُلْكِيَّةِ وَالمَلَكُوتِيَّةِ، وَالسِّينُ سِينُ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَسَلاَمَةِ الصُّدُورِ المَحْشُوَّةِ بِلَطَائِفِ العُلُومِ الوَهْبِيَّةِ وَالأَسْرَارِ القُدُّوسِيَّةِ الجَبَرُوتِيَّةِ، فَقَدْ تَلاَشَتِ الطَّاءَاتُ وَالهَاءَاتُ وَاليَاءَاتُ وَالسِّينَاتُ فِي بُحُورِ كَرَامَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ المَقْبُولَةِ المَرْضِيَّةِ، وَفَضَائِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ، فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْسَانُ عَيْنِ الوَحْدَةِ، وَالمُنْفَرِدُ بِالسِّيَادَةِ وَالمَجَادَةِ فِي مَقَامِ الخُصُوصِيَةِ وَحْدَهُ، وَهُوَ غَيْبُ هُوِيَّةِ الأَحَدِيَّةِ، وَالرُّسُلُ وَالأَنْبِيَاءُ وَالوَرَثَةُ الكُمَّلُ نُوَّابٌ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَهَذا مَعْنَى كَوْنُهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَ العَالَمِ وَبَيْنَ اللهِ وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُومِنُونَ مِنِّي فَافْهَمْ، وَعَلَى هَذَا فَمَعْنَى:

﴿يسٓ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾،

يَا سِرَّ غَيْبِ الذَّاتِ المَقْرُوِّ فِي اللهِ، وَعَيْنَ القُرْءَانِ المَتْلُوِّ مِنَ اللهِ عَلَى تَرْتِيبِ حِكْمَةِ ذَاتِ الأَحَدِيَّةِ،

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾،

مِنْ تِلْكَ الحَضْرَةِ العَالِيَةِ (77) القُدُّوسِيَّةِ الوَاحِدِيَّةِ، إِلَى هَذَا المَشْهَدِ الخَلْقِي التَّشْبِيكِي الإِنْسَانِي العَبْدِي،

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،

أَيْ: سَنَنٍ أَحَدِيٍّ قَيُّومِيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَبِالعَالَمِ جَمِيعِهِ،

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾،

أَيْ: وَإِنَّكَ لَتَنْزِيلُ العَزِيزِ وَهُوَ الَّذِي لاَ يُنَالُ إِلاَّ فِي هَذَا الهَيْكَلِ المُحَمَّدِيِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا رَحِمَ العَالَمَ أَرَادَ أَنْ يُنِيلَهُمْ نَفْسَهُ وَهُوَ عَزِيزٌ فَتَنَزَّلَ فِي جِنْسِهِمْ،

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾،

أَيْ: يَدُلُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَيَجْذِبُكُمْ إِلَيْهِ عِنَايَةً مِنْهُ بِكُمْ وَمِنَّةً مِنْ عَيْنِ خَزَائِنِ جُودِهِ عَلَيْكُمْ،

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾،

لِأَنَّهُ الحَامِلُ لَكُمْ وَالفَاعِلُ بِكُمْ فِيكُمْ، فَلاَ وُجُودَ لَكُمْ إِلاَّ مِنَ الوُجُودِ المُطْلَقِ لِذَاتِهِ بِالمُومِنِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِأَنَّهُ عَيْنُهُمْ، رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا وَلَمْ تَقْبَلْ عُقُولُهُمْ رُؤْيَةَ أَحَدِيَّتِكَ فِي أَعْدَادِهِمْ، فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ، إِذِ الأُلُوهِيَّةُ جَامِعَةٌ لِأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ، فَأَشْهَدَهُمْ أَنَّهُمْ فَرُّوا مِنْ يَمِينِهِ إِلَى شِمَالِهِ وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ،

وَكَانَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِ جَمِيعِهِ مُومِنُهُ وَكَافِرُهُ مُقِرُّهُ وَجَاحِدُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحْبِهِ ثُمَّ قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: اعْلَمْ أَنَّ الأَلِفَ مِنْ اسْمِ فِي بِسْمِ اللّهِ هِيَ عَيْنُ الأَحَدِيَّةِ (78) وَالسِّينُ سِرُّهَا فَكَانَ المِيمُ عِبَارَةٌ لِعَيْنِ الوُجُودِ المُحَمَّدِيِّ وَهُوَ الحَقِيقَةُ الجَامِعَةُ لِلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَلاَ تَرَى إِلَى تَجْوِيفِ رَأْسِ المِيمِ كَيْفَ هُوَ مَحَلُّ النُّقْطَةِ البَيْضَاءِ وَقَدْ مَضَى لَكَ أَنَّ النُّقْطَةَ هِيَ الكَنْزُ المَخْفِيُّ فَقِيلَ: إِنَّ الدَّائِرَةَ مِنْ تَجْوِيفِ رَأْسِ المِيمِ هِيَ المَحَلُّ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ هَذَا الكَنْزُ المَخْفِيُّ أَلاَ تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا لَمْ أُعْرَفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ وَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُونِي وَمِنْ هُنَا كَانَ الاِسْمُ ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ فِي قَوْلِهِ:

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾،

لأَنَّهُ لَوْ كَانَ وَصْفًا لِرَبِّكَ لَكَانَ مَجْرُورًا فَذُو الجَلاَلِ مَرْفُوعٌ تَابِعٌ لِلاِسْمِ لاَ لِرَبِّكَ فَافْهَمْ، وَأَنَّ المِيمَ فِي اسْمِ رُوحِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّ المَحَلَّ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ الكَنْزُ المَخْفِيُّ وَهُوَ العَالَمُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ اللّهَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ رُوحَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ العَالَمِ مِنْهُ رَتَّبَهُ فِي الحَدِيثِ ثُمَّ النُّقْطَةُ البَيْضَاءِ الَّتِي فِي جَوْفِ رَأْسِ المِيمِ عَيْنُ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي هُوَ الكَنْزُ المَخْفِيُّ وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنَّهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقِيقَةٌ جَامِعَةٌ لِلذَّاتِ العَظِيمَةِ وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي تَقَرَّرَ فِي مَعْنَاهُمَا، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ فِي يس: إِنَّ اليَاءَ فِيهِ حَرْفُ نِدَاءٍ، وَالسِّينَ (79) الإِنْسَانُ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ يَا إِنْسَانُ أَيْ: يُخَاطِبُ وِجْهَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَا إِنْسَانَ عَيْنِ ذَاتِي،

﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾،

فَالقُرْءَانُ مَعْطُوفٌ عَلَى عَيْنِ الذَّاتِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ فَهُوَ سِرُّ الذَّاتِ وَسِرُّ القُرْءَانِ العَظِيمِ أَيْ: إِنْسَانُ عَيْنِ الذَّاتِ عَيْنُ القُرْءَانِ الحَكِيمِ، فَصَارَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقِيقَةٌ جَامِعَةٌ لِمَعْنَى الذَّاتِ العَلِيَّةِ وَالقُرْءَانِ الحَكِيمِ، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ قِيلَ:

رَسُـــولَ اللهِ يا مَجلَى الأُلُوهَةْ ❖ وَيَا مَـــنْ ذَاتُهُ الذَّاتُ النَّزِيهَهْ
ظَهَرْتَ بِكُلِّ مَظْهَرِ كُلِّ حُسْنٍ ❖ تَسَتَّرَ عَـــنْ عِيَانِ البَدِيهَهْ
بِأَوْصَافٍ هِـــيَ السَّبْعُ المَثَانِي ❖ وَقُرْءَانٍ هِيَ الـــذَّاتُ النَّبِيهَهْ
خُصِصْتَ وَكُنْتَ أَنْتَ بِهَا حَقِيقًا ❖ حَقِيقَتُكَ المُقَدَّسَـــةُ الشَّبِيهَهْ
فَبِالأَوْصَافِ كُلُّ شَـــاقٍّ يَعْدَا ❖ وَأَنْتَ بِهَا نَظَرْتَ إِلَى الأُلُـــوهَهْ
لِأَنَّكَ كُنْتَ قَبْلَ الكُلِّ حُكْـــمًا ❖ فَذَاتُكَ لِلذَّوَاتِ هِيَ الفَقِيهَـــهْ

ثُمَّ اعْلَمْ أَيُّهَا المُحِبُّ الرَّاغِبُ فِي خِدْمَةِ سَيِّدِ الأُمَمِ، وَتُرْجُمَانِ لِسَانِ القِدَمِ، وَطَاهِرِ الخُلُقِ وَالشِّيَمِ، وَمَنْبَعِ العُلُومِ وَالحِكَمِ، سَيِّدِي وَمَوْلَايَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ اللهَ أَقْسَمَ عَلَى نُبُوَّتِهِ (80) وَرِسَالَتِهِ بِمَا سَمَّاهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ المُحْكَمِ، كَمَا سَبَقَ فِي أَزَلِهِ وَجَرَى بِهِ فِي أُمِّ الكِتَابِ القَلَمُ، فِي قَوْلِهِ:

﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾،

فَاليَاءُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَاءُ يَاسَمِينِ زَهْرِ رِيَاضِ مُلْكِهِ وَمَلَكُوتِهِ، وَالسِّينُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سِينُ سَوْسَنِ جَبَرُوتِهِ وَرَحَمُوتِهِ وَسَحَابِ غَيْثِ رَحَمَاتِهِ المُتَدَفِّقِ مِنْ حِيَاضِ رَهَبُوتِهِ وَرَغَبُوتِهِ، الَّذِي حَيِيَ بِهِ نَوَارُ المُحِبِّينَ فِيهِ وَالمَحْبُوبِينَ لَدَيْهِ فِي غُرَرِ أَزْمِنَتِهِ السَّعِيدَةِ وَوُقُوتِهِ، فَمِنْ عَوَاطِرِ أَنْفَاسِهِ النَّبَوِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ طَابَ الكَوْنُ وَرَيَّاهُ، وَمِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ حَسُنَتْ سِيرَةُ كُلِّ مَنِ اقْتَدَى بِهِ وَاهْتَدَى بِهُدَاهُ، فَكُلُّ نَسِيمٍ تَعَطَّرَ فِي الوُجُودِ فَمِنْ أَرْدَانِهِ الطَّيِّبَةِ انْتَشَرَ وَتَضَوَّعَ، وَكُلُّ طِيبٍ جُمِعَ فِي الظُّرُوفِ وَالقَوَارِيرِ فَمِنْ عَرَقِهِ فَشَا وَتَنَوَّعَ، وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: كُنَّا نَجْعَلُهُ فِي قَوَارِيرِنَا فَنَجِدُهُ أَحْسَنَ مِنْ طِيبِنَا، وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: مَا شَمِمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ بِطَرِيقٍ عُرِفَ الطَّرِيقُ الَّتِي اجْتَازَ (81) مِنْهَا مِنْ طِيبِ رَائِحَتِهِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدِ اخْتَارَهُ اللهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَكَسَاهُ بِرِدَاءِ مَحْبُوبِيَّتِهِ، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصَ لَمْ تُوجَدْ فِي غَيْرِهِ، وَلَمْ يَتَّصِفْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الخَلِيقَةِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، لِأَنَّهُ مَجْبُولٌ وَمَطْبُوعٌ عَلَى مَا تَطِيبُ بِهِ النُّفُوسُ فِي خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ، وَمَا يُرْضِي اللهَ وَتُحِبُّهُ القُلُوبُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ فِي شَرَائِعِهِ وَمَذَاهِبِهِ وَطُرُقِهِ، حَتَّى إِنَّ

كُلَّ نَفْس تَطِيبُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ وَتَتَلَذَّذُ بِذِكْرِهِ وَتَنْشَرِحُ عِنْدَ سَمَاعِ خُطْبَتِهِ، لِكَوْنِ البَارِي تَعَالَى أَلْقَى عَلَيْهِ مَحبَّتَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ (82) وَشَرَّفَ أَحْوَالَهُ وَنِسْبَتَهُ، فَصَيَّرَهُ حَبِيبَهُ وَمُجْتَبَاهُ، وَصَفِيَّهُ وَمُرْتَضَاهُ، وَخِيرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَمُصْطَفَاهُ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاَةً تُكْرِمُ بِهَا مَثْوَاهُ، وَتُشَرِّفُ بِهَا عُقْبَاهُ، وَتُبَلِّغُ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ مُنَاهُ وَرِضَاهُ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَثِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

يَا بَدِيعَ الجَمَالِ فِيكَ تَجَمَّــــعْ ❖ كُلُّ حُسْنٍ وَالعَقْلُ فِيـــكَ تَوَزَّعْ
يَا إِمَـــامَ المِلاَحِ قَلْبِـــي أَسِيرٌ ❖ فِي يَدَيْكَ لأَمْـــرِكَ الدَّهْرُ يَسْمَعْ
مَا ذَكَــــرْتُكَ يَا مُحَمَّدُ إِلاَّ ❖ وَالفُـــؤَادُ مِنَ الجَلاَلَـــةِ يَخْشَعْ
طَيِّبُ الذَّاتِ أَنْـــتَ حِسًّا وَمَعْنًى ❖ مِنْكَ طِيـــبٌ عَلَى المَدِينَةِ يَسْطَعْ
رَشْحُــــكَ اسْتَنْبَطَتْهُ أُمُّ سُلَيْمٍ ❖ أَطْيَــبُ الطِّيبِ عِنْدَهَا كَانَ يُجْمَعْ

وَقُلْتُ عَلَى سَبِيلِ الإِشَارَةِ فِي هَذَا المَعْنَى البَدِيعِ اللَّفْظِ الرَّائِقِ الأُسْلُوبِ وَالمَبْنَى (83) إِنَّ كُلَّ مَا فَاحَ مِنَ الطِّيبِ الحِسِّي وَالمَعْنَوِي، وَمَا لاَحَ مِنَ النَّفْعِ الدُّنْيَوِي وَالأُخْرَوِي فِي الأَشْجَارِ الطَّيِّبَةِ المُبَارَكَةِ المَبْدُوَّةِ بِحُرُوفِ المُعْجَمِ، وَمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ الجَلِيلَةِ وَالأَسْرَارِ الخَاصَّةِ الظَّاهِرِ مِنْهَا وَالمُكْتَتَمِ، وَمَا تَضَوَّعَ فِيهَا مِنَ الرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ العَاطِرَةِ الشَّذَا وَالنَّسَمِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ طِيبِ نَفْسِ سَيِّدِ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَيَنْبُوعِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ وَالحِكَمِ، وَجَمِيلِ الأَوْصَافِ وَطَاهِرِ الخُلُقِ وَالشِّيَمِ، وَإِمَامِ طَيْبَةَ وَالحِلِّ وَالحَرَمِ، وَصَاحِبِ المَوْكِبِ وَالمُصَلَّى وَالعَلَمِ، وَخَاتِمِ النُّبُوءَةِ وَالرِّسَالَةِ الطَّيِّبِ المَبْدَإِ وَالمُخْتَتَمِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ، وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ، وَسِرِّ أَسْمَائِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ الشَّهِيرِ (84) فَضْلُهَا كَنَارٍ عَلَى عَلَمٍ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الكَرِيمَةِ، الجَلِيلَةِ القَدْرِ الفَخِيمَةِ، الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ الجَسِيمَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الأَلِفِ، وَهِيَ الأَبَرُّ بِاللهِ وَالأَبْطَحِيُّ، وَالأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَتْقَى النَّاسِ، وَالأَجْوَدُ، وَأَجْوَدُ النَّبِيئِينَ، وَأَجْوَدُ النَّاسِ، وَأَحْمَدُ وَأَحِيدٌ، وَالأَحْسَنُ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ فِي الأُتْرُجِّ وَالأُقْحُوَانِ وَالأَنِيسُونِ، وَالإِذْخِرُ وَالأَرَاكِ وَالآسِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ، المُنَوَّرَةِ المُقَدَّسَةِ اللَّطِيفَةِ، (85) العَظِيمَةِ القَدْرِ المُنِيفَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ البَاءِ، وَهِيَ: البَشِيرُ وَالبَصِيرُ وَالبَلِيغُ وَالبَيَانُ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ وَالبَيِّنَةُ، وَبَيِّنَةٌ مِنَ اللهِ وَالبَاطِنُ وَالبُرْهَانُ فِي البَابُونَجِ وَالبَنَفْسَجِ وَالبَهَارِ وَالبَانِ وَالبَلْسَانِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الجَلِيلَةِ الرَّفِيعَةِ الحَسَنَةِ الجَمِيلَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ التَّاءِ وَهِيَ التَّالِي وَالتَّذْكِرَةُ وَالتَّقِيُّ وَالتَّوَّابُ وَالتَّنْزِيلُ وَالتِّهَامِيُّ فِي التِّينِ وَالتُّوتِ وَالتُّفَّاحِ العَطِرِ الرَّائِحَةِ السَّامِي.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ، الَّتِي ذُكِرَ بِهَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ وَالكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ المَوْلَوِيَّةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الثَّاءِ، وَهِيَ: ثِمَالُ اليَتَامَى وَثَانِي اثْنَيْنِ، فِي الثِّمَامِ وَثَمَرَاتِ البَسَاتِينِ وَالفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ الرَّوَائِحِ وَالمَطَاعِمِ وَالأَذْوَاقِ الشَّهِيَّةِ الَّتِي يَتَنَعَّمُ بِهَا المَرْءُ فِي الدَّارَيْنِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ النُّورَانِيَّةِ، المُعَظَّمَةِ المُشَرَّفَةِ (86) القُدْسَانِيَّةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الجِيمِ، وَهِيَ الجَمِيلُ وَالجَلِيلُ وَالجَدُّ وَالجَوَادُ وَالجَبَّارُ، فِي الجَاوِي وَالجَوْزَا وَالجَوْزِ وَالجَزَرِ وَالجُلَّنَارِ، الَّذِي مَنْ رَءَاهُ سُرَّ بِهِ وَذَهَبَتْ عَنْهُ هَوَاجِمُ الهُمُومِ وَالغُمُومِ وَالأَكْدَارِ، وَاشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَةِ وَجْهِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ، وَزَيْنِ المُرْسَلِينَ الأَخْيَارِ، وَأَكْرَمِ مَنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهَارُ، سَيِّدِي وَمَوْلَايَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الجَمِيلَةِ الحِسَانِ، الوَاضِحَةِ الدَّلَائِلِ وَالبُرْهَانِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الحَاءِ وَهِيَ الحَاشِرُ وَالحَافِظُ، وَالحَاكِمُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ وَحَبِيبُ اللهِ وَحَبِيبُ الرَّحْمَانِ فِي الحَبَقِ وَالحِنَّاءِ الَّتِي كَانَ يُحِبُّ أَزَاهِرَهَا وَيُسَمِّيهَا بِالفَاغِيَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ الَّتِي تَجْلُوا الأَبْصَارَ وَتُصْلِحُ الأَبْدَانَ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ السَّامِيَةِ العِظَامِ، المُبَارَكَةِ السَّنِيَّةِ الجِسَامِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الخَاءِ، وَهِيَ: الخَلِيلُ وَخَلِيلُ اللهِ وَخَلِيلُ الرَّحْمَانِ وَخِيرَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ (87) وَخَاتِمَةُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الكِرَامِ، فِي الخِيرِي وَالخُزَامَى وَالخَابُورِ وَالخَيْزُرَانِ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الأَمْثَالُ فِي الاِعْتِدَالِ وَالقَوَامِ، وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ

طِيبِ أَسْمَائِهِ المُقَدَّسَةِ المُنَوَّرَةِ، المَذْكُورَةِ فِي الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ وَالكُتُبِ المُسَطَّرَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الدَّالِ، وَهِيَ الدَّلِيلُ وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ وَدَارُ الحِكْمَةِ وَدَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَدَعْوَةُ النَّبِيئِينَ وَدَلِيلُ الخَيْرَاتِ المُوَصِّلُ مَنِ اقْتَدَى بِهِ إِلَى مَنَازِلِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، فِي دَارِ فُلْفُلٍ وَدَارِ صِينِي المَشْهُورَةِ مَنَافِعُهَا فِي دَوَاوِينِ الحُكَمَاءِ المُقَرَّرَةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المَلْحُوظَةِ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ وَالإِجْلَالِ، المُسَمَّى بِهَا مِنْ حَضْرَةِ ذِي العِزَّةِ وَالجَلَالِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الذَّالِ وَهِيَ الذَّاكِرُ وَالذِّكْرُ وَذِكْرُ اللهِ وَذُو عِزٍّ وَذُو فَضْلٍ وَذُو حُرْمَةٍ وَذُو مَكَانَةٍ عِنْدَ مَوْلَاهُ الكَبِيرُ المُتَعَالِ فِي الذَّرِيرَةِ الطَّيِّبَةِ الرَّائِحَةِ وَالذَّفَرِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ وَمِنْهُ المِسْكُ الأَذْفَرُ الَّذِي مَنِ انْتَشَقَ (88) رَائِحَتَهُ انْشَرَحَ صَدْرُهُ وَزَالَتْ عَنْهُ عَوَارِضُ الهُمُومِ وَالأَوْجَالِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُبَارَكَةِ الشَّافِيَةِ، المَقْرُونَةِ بِاليُمْنِ وَالبَرَكَةِ وَسَوَابِغِ النِّعَمِ الضَّافِيَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الرَّاءِ وَهِيَ الرَّاضِي وَالرَّاغِبُ وَالرَّافِعُ وَرَسُولُ الرَّاحَةِ وَرَسُولُ الرَّحْمَةِ وَرَسُولُ اللهِ وَرَسُولُ المَلَاحِمِ وَرُوحُ الحَقِّ وَرُوحُ القُدْسِ وَرَفِيعُ الدَّرَجَاتِ المَحْفُوفَةُ أَوْقَاتُهُ بِالبَسْطِ وَالهَنَاءِ وَالسُّرُورِ، وَالسَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ، فِي الرَّنْدِ وَالرَّيْحَانِ وَالرَّاوَنْدِ الصِّينِي وَالرُّطَبِ وَالرَّطْبِ العَابِقَةِ رَوَائِحُهُ فِي الأَقْطَارِ القَرِيبَةِ وَالنَّائِيَةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المَعْلُومَةِ الشَّهِيرَةِ، ذَاتِ المَآثِرِ الفَخِيمَةِ وَالمَفَاخِرِ الكَثِيرَةِ، المَبْدُوَّةِ، بِحَرْفِ الزَّايِ وَهِيَ الزَّاهِدُ وَزَعِيمُ الأَنْبِيَاءِ وَالزَّكِيُّ وَالزَّمْزَمِيُّ وَزَيْنُ مَنْ وَافَى القِيَامَةَ، وَزَيَّنَهَا وَنَوَّرَ غُرَفَهَا وَقُصُورَهَا بِغُرَّةِ وَجْهِهِ البَهِيَّةِ المُنِيرَةِ فِي الزَّعْفَرَانِ وَالزَّنْجَبِيلِ وَالزَّرْيَانِجِ وَالزَّبَدِ المَوْسُومِ بِالرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ وَالعَوَاطِرِ الغَزِيرَةِ. (89)

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، الرَّائِقَةِ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الطَّاءِ وَهِيَ الطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ وَطَابَ طَابْ وَطَه وَطَسم المَرْفُوعِ ذِكْرُهُ فِي حَظَائِرِ القُدْسِ وَمَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فِي الطَّلْعِ وَطَيْطَةَ وَهِيَ شَجَرَةُ مَرْيَمَ، وَالطَّرْفَاءِ اليَانِعَةِ الأَغْصَانِ البَهِيَّةِ الأَوْرَاقِ الحَسْنَى.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ السَّنِيَّةِ، المُطَهَّرَةِ الزَّكِيَّةِ، المَبْدُوَّةِ بحَرْفِ الظَّاءِ وَهِيَ الظَّاهِرُ وَالظَّفُورُ، وَهُوَ مِنَ الظَّفَرِ وَالفَوْزِ بِرَحْمَةِ اللهِ الدَّائِمَةِ السَّرْمَدِيَّةِ، فِي ظِيَانٍ وَظَيْبِيَّةٍ وَظَفِيرَةٍ المَعْلُومَةِ المَشْهُورَةِ مِنْ عُشْبِ البَرِيَّةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المَبْرُورَةِ السَّعْدِيَّةِ، الظَّاهِرَةِ فِي مَظَاهِرِ الأَسْرَارِ وَالمَوَاهِبِ العِنْدِيَّةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الكَافِ وَهِيَ الكَفِيلُ وَالكَامِلُ وَكَلِيمُ اللهِ وَكَاشِفُ الكُرَبِ وَالكَرِيمُ وَكهيعص المَحْفُوفَةِ بِالشَّوَارِقِ وَالأَنْوَارِ المَوْلَوِيَّةِ، فِي الكُنْدُرِ (90) وَالكَافُورِ وَالكَمُّونِ وَالكَرَوِيَّاءِ النَّافِعَةِ الشَّهِيَّةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُحَمَّدِيَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ، النَّبَوِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ اللَّامِ وَهِيَ:اللِّسَانُ وَلِسَانُ الحَقِّ وَلِسَانُ الصِّدْقِ وَلِسَانُ التُّقَى، المَعْصُومُ مِنَ الأَفْعَالِ الدَّنِيَّةِ وَالأَقْوَالِ الرَّدِيَّةِ، فِي اللَّيْمُونِ وَاللُّفَاحِ وَاللَّوْزِ وَاللُّبَانِ وَلِسَانِ العَصَافِرِ النَّافِعِ لِلْأَمْرَاضِ المُضِرَّةِ البَدَنِيَّةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الحُلْوَةِ الذِّكْرِ الشَّهْدِيَّةِ، المُعَظَّمَةِ المَقْبُولَةِ المَرْضِيَّةِ المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ المِيمِ وَهِيَ المَاجِدُ وَالمَانِحُ وَالمُومِنُ وَالمَاءُ المَعِينُ وَالمُبَارَكُ وَالمُبْتَهِلُ وَمُبَشِّرُ البَائِسِينَ وَالمُؤَمَّلُ فِي الشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ المُرَوِّعَةِ لِلْخَلِيقَةِ الآدَمِيَّةِ، فِي المُصْطَكَى وَالمَحْلَبِ وَالمِسْكِ الأَذْفَرِ وَالمَنْدَلِ وَالمِيعَةِ السَّائِلَةِ الَّتِي بِشَذَا عَرْفِهَا تُذْهِبُ الأَسْقَامَ وَالأَمْرَاضَ القَلْبِيَّةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الكَثِيرَةِ المَدَدِ القَوِيَّةِ (91) الحَافِظَةِ لِقَارِئِهَا مِنْ كُلِّ نِقْمَةٍ وَبَلِيَّةٍ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ النُّونِ، وَهِيَ: نَبِيُّ التَوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الحَرَمَيْنِ، وَنَبِيُّ الرَّاحَةِ الوَافِي مَنْ لَاذَ بِهِ مِنَ الفِتَنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، فِي النَّرْجِسِ وَالنِّسْرِينِ وَالنَّمَّامِ وَالنَّعْنَعِ وَالنَّارَنْجِ المُعَطِّرُ بِرَوَائِحِهِ المَجَالِسَ وَالأَنْدِيَةَ الزَّكِيَّةَ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ العَظِيمَةِ القَدْرِ وَالجَاهِ، العَزِيزَةِ المَحْبُوبَةِ لَدَى اللهِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الصَّادِ، وَهِي صَفِيُّ اللهِ، وَصَحِيحُ الإِسْلَامِ، وَصِرَاطُ اللهِ، وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، وَصَاحِبُ الوَسِيلَةِ، وَصَاحِبُ الفَضِيلَةِ، وَصَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ، وَصَاحِبُ اللِّوَاءِ المَعْقُودِ، وَصَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى فِي اليَوْمِ المَوْعُودِ، وَصَاحِبُ قَوْلِ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه، فِي الصِّنْدَلِ وَفِي الصَّنَوْبَرِ وَالصَّفْصَافِ وَصُفَّيْرَا، وَالصَّعْتَرِ الطِّيبِ الرَّائِحَةِ النَّافِعِ لِعِبَادِ اللّهِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُبَارَكَةِ المَيْمُونَةِ (92) المَخْبُوءَةِ أَسْرَارُهَا فِي ضَمَائِرِ الغُيُوبِ المَكْنُونَةِ المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الضَّادِ وَهِيَ الضَّحَّاكُ وَالضَّحُوكُ وَالضَّارِبِ بِالحُسَامِ المَلْثُومِ لِلْكَفَرَةِ الفَجَرَةِ وَالطَّوَائِفِ المَلْعُونَةِ، فِي ضَحْكٍ وَضَجَاجٍ، وَضَالِ كُلِّ شَجَرَةٍ فِي أُصُولِهَا وَأَغْصَانِهَا طَيِّبُ الرَّوَائِحِ مَصُونَةٌ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الحَسَنَةِ الأَشْكَالِ وَالحُرُوفِ، الكَثِيرَةِ الأَسْرَارِ المَنْجِيَةِ مَنْ تَحَصَّنَ بِهَا مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَهَوْلِ يَوْمِ العَرْضِ وَالوُقُوفِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ العَيْنِ، وَهِيَ: عَلَمُ الإِيمَانِ وَعَلَمُ اليَقِينِ وَالعَالِمُ بِالحَقِّ وَالعَامِلُ وَعَبْدُ اللّهِ وَالعُرْوَةُ الوُثْقَى وَالعَزِيزُ وَالعُفُوُّ عَلَى مَنْ لاَذَ بِهِ فِي كُلِّ هَوْلٍ فَظِيعٍ وَأَمْرٍ مَخُوفٍ فِي العُصْفُرِ وَالعَرَارِ وَالعُودِ الرَّطْبِ وَالعَنْبَرِ الشَّحْرِي الَّذِي انْتِشَاقُ رَائِحَتِهِ يُقَوِّي الدِّمَاغَ وَالحَوَاسَّ وَيَنْفَعُ مِنَ الصُّدَاعِ البَارِدِ وَوَجَعِ الرَّأْسِ المَوْصُوفِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ العَزِيزَةِ المَكِينَةِ المَذْكُورَةِ فِي الأَحَادِيثِ وَالآيَاتِ المُبِينَةِ، المَبْدُوءَةِ (93) بِحَرْفِ الغَيْنِ، وَهِيَ الغَنِيُّ بِاللّهِ وَالغَنِيُّ بِالإِسْلاَمِ وَالغَوْثُ وَالغَيْثُ وَالغِيَاثُ لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالأُمُورِ الثَّقِيلَةِ الرَّزِينَةِ، فِي الغَالِيَةِ وَغَرَفٍ وَغُمْلُوجٍ وَغَارٍ وَغَافَتْ وَغَرِيْقُونَ الَّذِي يُنَقِّي الرَّأْسَ وَيَنْفَعُ مِنَ الصَّرْعِ وَيُخْرِجُ فُضُولَ العَصَبِ القَوِيَّةِ المَتِينَةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ العَلِيَّةِ القَدْرِ، العَظِيمَةِ الجَاهِ وَالفَخْرِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ الفَاءِ وَهِيَ الفَاتِحُ وَالفَارَقْلِيطُ وَالفَارِقُ وَالفَارُوقُ وَالفَتَّاحُ وَالفَجْرُ السَّاطِعُ السَّرِيعُ الإِغَاثَةِ وَالنَّصْرِ فِي الفَاغِيَةِ وَالفُوَّةِ وَالفُلْفُلِ النَّافِعُ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ لِدَاءِ السُّعَالِ وَوَجَعِ الصَّدْرِ، وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ الكَرِيمَةِ، الجَلِيلَةِ القَدْرِ الفَخِيمَةِ، المَبْدُوَّةِ بِحَرْفِ القَافِ، وَهِيَ القَانِتُ وَالقَاضِي وَقَائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ وَقَائِدُ المُرْسَلِينَ وَالقَيُّومُ وَالقُرَشِيُّ وَالحَسَنُ السِّيرَةِ وَالسِّيمَةِ، فِي القَرَنْفُلِ وَالقِرْفَةِ وَالقُزْبُرَةِ وَقَصَبِ الذُّرَيْرَةِ المُتَضَوِّعِ بِالشَّذَا الطَّيِّبِ (94) وَالرَّائِحَةِ الجَسِيمَةِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المَذْكُورَةِ فِي الذِّكْرِ الكَرِيمِ، الفَاشِي سِرُّهَا فِي

الطَّوَاسِم وَالحَوَامِيم، وَطَه وَيَس وَالقُرْءَان الحَكِيم، المَبْدُوَّة بحَرْفِ السِّين وَهِيَ السَّيِّدُ وَسَيِّدُ وَلَدِ ءَادَمَ وَسَيِّدُ الأَنْبيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَسَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَسَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ ءَادَمَ أَجْمَعِينَ المُسَمَّى بالرَّءُوفِ الرَّحِيم، فِي السُّنْبُلِ وَالسِّنْطِ وَالسُّكِّ وَالسَّفَرْجَلِ الَّذِي رَائِحَتُهُ تُقَوِّي الدِّمَاغَ وَيَنْفَعُ مِنَ الصُّدَاعِ الحَارِّ وَيَشْفِي مَرَضَ العَيْنِ لِمَنِ اكْتَحَلَ بنَقِيعِ بَزْرِهِ الَّذِي يُبْرِئُ العَلِيلَ وَالسَّقِيمَ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ العَدِيمَةِ النَّظِيرِ فِي الأَسَامِي الحَدِيثَةِ وَالقَدِيمَةِ، المَشْهُورَةِ الرَّائِقَةِ الوَسِيمَةِ، المَبْدُوَّةِ بحَرْفِ الشِّينِ وَهِيَ الشَّاهِدُ وَالشَّهِيدُ، وَالشَّمْسُ وَالشَّهِيرُ وَالشَّافِعُ فِي أَهْلِ الجَرَائِمِ وَالأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ، فِي الشِّبْتِ وَالشِّيحِ وَالشَّقَائِقِ وَالشُّونِيزِ وَشَجَرَةِ مُوسَى وَشَجَرَةِ إبْرَاهِيمَ وَشَجَرَةِ عِيسَى وَشَجَرَةِ سُلَيْمَانَ وَشَجَرَةِ مَرْيَمَ الفَائِحِ عِطْرُهَا فِي مَجَالِسِ أَرْبَابِ الأَحْوَالِ وَالأَذْوَاقِ السَّلِيمَةِ.(95)

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُؤَيِّدَةِ لِمَنْ تَسَمَّى بهَا بنُورِ الإِخْلَاصِ وَاليَقِينِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالفَتْحِ المُبِينِ المَبْدُوَّةِ بحَرْفِ الهَاءِ وَهِيَ الهَادِي وَهُدَى اللهِ وَهَدِيَّةِ اللهِ المُهْدَاةِ لِعِبَادِهِ المُومِنِينَ وَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ المُقَرَّبِينَ فِي هَيْرُوم وَهُذَال وَهَلِيلَج وَالهَنْدِبَا النَّافِعِ لِلْوَرَمِ الحَارِّ فِي العَيْنِ ضِمَادًا وَيَنْفَعُ مِنْ حِكَّةِ الأَمَاقِ فِي الحِينِ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُشَرَّفَةِ المُبَجَّلَةِ المَذْكُورَةِ فِي الأَحَادِيثِ المَرْوِيَّةِ وَالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ، المَبْدُوَّةِ بحَرْفِ الوَاوِ وَهِيَ الوَلِيِّ وَالوَكِيلُ وَالوَصُولُ وَالوَاصِلُ المَخْصُوصُ بالمَآثِرِ الجَلِيلَةِ وَالكَرَائِمِ المُجْمَلَةِ وَالمُفَصَّلَةِ فِي الوُرْقِ وَالوَرْدِ الوَرْدِي الَّذِي إذَا دُلِكَ باليَدِ فَاحَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الوَرْدِ وَإِذَا خُولِطَ بدُهْنِ نَارِدِيبَ وَصُبَّ عَلَى الرَّأْسِ أَوْ وُضِعَ عَلَى الجَبِينِ وَالصُّدْغَيْنِ نَفَعَ مِنَ الصُّدَاعِ لِمَنْ تَنَاوَلَهُ وَاسْتَعْمَلَهُ.

وَمِنْهَا مَا سَرَى مِنْ طِيبِ أَسْمَائِهِ المُعَظَّمَةِ فِي قُلُوبِ الصُّلَحَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ، وَالأَحِبَّاءِ وَالأَتْقِيَاءِ وَالأَصْفِيَاءِ، المَبْدُوَّةِ بحَرْفِ اليَاءِ وَهِيَ يَس وَيَعْسُوبُ الأَرْوَاحِ الشَّافِعِ (96) لِأُمَّتِهِ فِي المَمَاتِ وَالمَحْيَى، فِي اليَاسَمِينِ وَالبَيْرُوحِ وَاليَقْطِينِ الَّذِي أَنْبَتَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبِ المَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ وَالدَّرَجَةِ العُلْيَا، وَهَذَا القَدْرُ كَافٍ مِمَّا حَضَرَ لَدَيَّ مِنْ أَسْمَائِهِ النَّبَوِيَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ، وَأَوْصَافِ كَمَالَاتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ، وَرَوَائِحِ أَنْفَاسِهِ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ، السَّارِيَةِ فِي الأَزَاهِرِ وَالعُشْبِ

ذَاتِ الرَّوَائِحِ العَاطِرَةِ الزَّكِيَّةِ، وَأَمَّا أَسْمَاؤُهُ الكَرِيمَةُ الشَّرِيفَةُ الفَخِيمَةُ، فَلاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى، وَلاَ تَنْحَصِرُ وَلاَ تُسْتَقْصَى، انْتَهَى.

قَمَــــــرٌ كُلَّمَا تَبَسَّمَ بَرْقٌ	فَوْقَ خَدِّي لَــــهُ الدُّمُوعُ تَسِيحُ
حَازَ رِقَّ القُلُــــوبِ مِنْهُ جَمَالٌ	وَانْفِلاَقُ سَنَا وَوَجْــــهٌ صَبِيحُ
كُلُّ مَنْ شَامَ بِالعَقِيــقِ سَنَاهُ	يَعْتَرِيهِ التَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيـــحُ
يُخْجِـــلُ البَدْرَ إِنْ بَدَا بِالمُحَيَّا	مِثْلَمَا اسْتَحْيَـــتْ بِمَرْءَاهُ يُوحُ
لاَ ظِلاَلَ إِذَا تَبَدَّا بِـــــوَجْهٍ	وَشَذَاهُ فِي الكَــوْنِ مِسْكٌ يَفُوحُ
طِيِّبَةٌ مِّنْ شَذَاهُ طَابَتْ فَأَضْحَى	كُلُّ عِطْرٍ يَغْــدُوا بِهَا وَيَرُوحُ
وَالبَرَايَا بِهَا تَرَاهُمْ نَشَـــاوَى	مِنْ جَمَالٍ حَوَاهُ ذَلِكَ الضَّرِيحُ (97)
مَهْبِطُ الوَحْيِ مُسْتَقَرُّ المَعَالِـي	مَعْدِنُ الجُودِ فِيهِ وَجْهٌ مَلِيـحُ
يَا هُيَامِـــي بِحُبِّهِ وَغَرَامِي	لَيْتَ شِعْرِي هَلْ مُهْجَتِي تَسْتَرِيحُ
وَالصَّلاَةُ عَلَيْــكَ يَا مَنْ شَذَاهُ	عَطَّرَ الكَوْنَ وَهْوَ مِسْكٌ يَفُوحُ

وَمِنْ أَسْمَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُقَدَّسَةِ المُنَوِّرَاتِ، مَا أَشَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُ دَلاَئِلِ الخَيْرَاتِ فِي قَوْلِهِ وَبِالاسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ، إِلَى آخِرِهِ، إِنَّ ذَلِكَ الاسْمَ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُ العَارِفِينَ هُوَ اسْمُ نَبِيِّنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِبَرَكَتِهِ تَكَوَّنَتِ الكَائِنَاتُ، وَظَهَرَتِ المَوْجُودَاتُ، وَلَوْلاَهُ مَا ظَهَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الأَرْضِ، وَلَوْلاَهُ مَا تَفَجَّرَتْ عَيْنٌ مِنَ العُيُونِ وَلاَ جَرَى نَهْرٌ مِنَ الأَنْهَارِ، وَإِنَّ نُورَهُ يَلُوحُ فِي شَهْرِ مَارِسَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ عَلَى سَائِرِ الحُبُوبِ فَيَقَعُ لَهَا الإِثْمَارُ بِبَرَكَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْلاَ نُورُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَثْمَرَتْ، وَإِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ إِيمَانًا مَنْ يَرَى إِيمَانَهُ عَلَى ذَاتِهِ مِثْلَ الجَبَلِ وَأَعْظَمَ مِنْهُ فَأَحْرَى غَيْرُهُ (98) وَأَنَّ الذَّاتَ تَكِلُّ أَحْيَانًا عَنْ حَمْلِ الإِيمَانِ فَتُرِيدُ أَنْ تَرْمِيَهُ فَيَلُوحُ نُورُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَيَكُونُ مُعِينًا لَهَا عَلَى حَمْلِ الإِيمَانِ فَتَسْتَحْلِيهِ وَتَسْتَطِيبُهُ، انْتَهَى.

وَقُلْتَ فِي هَذَا المَعْنَى عَلَى سَبِيلِ الإِشَارَةِ وَالتَّفَنُّنِ فِي غَوَامِضِ المَعَانِي الرَّائِقَةِ وَدَقَائِقِ العِبَارَةِ إِنَّ هَذَا الاسْمَ المُشَارَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ وَبِالاسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ إِلَى آخِرِهِ، هُوَ اسْمُ اللهِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ، المُقَدَّسِ المُبَجَّلِ العَزِيزِ

الأَكْرَم، الَّذِي أَخْفَاهُ فِي كُلِّ اسْم سَمَّى بِه نَفْسَهُ، وَأَظْهَرَ سِرَّهُ فِي فَوَاتِح أَسْمَاءِ حَبِيبِه سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَمَجَّدَ وَعَظَّمَ، وَكَرَّمَ وَأَنْعَمَ، وَذَلِكَ لأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا أَيْ: بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، فَالسَّمَاءُ رَتْقًا لاَ تُمْطِرُ، وَالأَرْضُ رَتْقًا لاَ تُنْبِتُ، فَفَتَقَهُمَا الحَقُّ بِنُور حَبِيبِه سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِرِّ أَسْمَائِه، فَأَضْحَتِ السَّمَاءُ بِبَرَكَتِه مَبْنِيَّةً، وَالأَرْضُ بِعِنَايَتِه مَدْحِيَّةً، (99) وَالجِبَالُ مُرْسِيَةً، وَالعُيُونُ مُنْفَجِرَةً، وَالأَنْهَارُ مُنْهَمِرَةً، وَالشَّمْسُ مُضْحِيَةً، وَالقَمَرُ مَضِيئًا، وَالكَوَاكِبُ مُسْتَنِيرَةً، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَا أَظْهَرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ كُلِّيَّاتِ الكَوْنَيْنِ وَعُلُوم الثَّقَلَيْنِ، وَمَا سَرَى مِنْ سِرِّهِ فِي رِيَاضِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَأَشْرَقَ مِنْ نُورِه فِي خَزَائِنِ الرَّحَمُوتِ وَالجَبَرُوت، وَمَا تَدَفَّقَ مِنْ حِيَاضِه فِي جَمِيعِ الأَقْطَارِ وَالسُّمُوتِ، وَمَا لَمَعَ مِنْ بَرْقِ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِه فَوْقَ العَرْشِ وَتَحْتَ البَهْمُوتِ، وَمِنْ ذَلِكَ المَعْنَى قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، الآيَاتُ

أَيْ: أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكَرَائِمِ وَالمُعْجِزَاتِ، وَشَوَارِقِ أَنْوَارِ النُّبُوءَاتِ وَالرِّسَالاتِ، وَلَوَائِحِ التَّجَلِّيَاتِ الاخْتِصَاصِيَةِ وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، وَدَلاَئِلِ الأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ وَالأَشَائِرِ وَالبَشَائِرِ وَالإِرْهَاصَاتِ أَنَّ سَمَاءَ الطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَأَرْضَ المِنَنِ وَالصِّلاَتِ وَالهِبَاتِ،

﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾،

أَيْ: مُلْتَصِقَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فَفَتَقْنَاهُمَا بِضِيَاءِ النُّورِ المُحَمَّدِي، وَشُعَاعِ السِّرِّ الكَامِلِ الأَحْمَدِي،

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾،

أَيْ: مِنْ مَاءِ مَوَادِّ إِمْدَادَاتِه (100) المَخْتُومِ فِي قَوَارِيرِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَان، المُؤَيَّدُ بِنُورِ الوَحْيِ وَعُلُومِ القُرْءَانِ، كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَيْ: يَنْتَعِشُ بِرَوْحِ رُوحَانِيَّتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَيَتَغَذَّى بِسِرِّ نُورَانِيَّتِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ، ثُمَّ بَكَّتَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾،

لِأَنَّهُمْ سُكَارَى عَنْ طَاعَةِ مَوْلاهُمْ غَافِلُونَ، وَفِي بَحْرِ شَهَوَاتِهِمْ وَضَلالِهِمْ يَسْبَحُونَ، لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ،

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾،

أَيْ: فِي أَرْضِ أَهْلِ العُلُومِ وَالعِرْفَانِ، المَدْحُوَّةِ بِنُورِ الصِّدْقِ وَالإِخْلَاصِ وَالإِيقَانِ،

﴿رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾،

أَيْ: جِبَالاً ثَابِتَاتِ الرُّسُوخِ وَالمَبَانِ، رَاسِخَةَ القَدَمِ فِي حَظَائِرِ القُرْبِ وَالتَّدَانِ، يُنَازِعُونَ الأَقْدَارَ بِهِمَمِهِمْ العَالِيَةِ وَيَحْمُونَ الدِّمَانَ بِدَعَوَاتِهِمُ الوَافِيَةِ،

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾،

أَيْ: فِي الرَّوَاسِي،

﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾،

أَيْ:طُرُقًا مُوَصِّلَةً إِلَى اللهِ، وَمَسَالِكَ تَدُلُّ العِبَادَ عَلَى اللهِ،

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾،

إِلَى مَعَالِمِهَا المُنَوَّرَةِ بِنُورِ اللهِ،

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ﴾،

أَيْ:سَمَاءَ الهَامَاتِ وَالتَّلَقِّيَاتِ الَّتِي تَصْعَدُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُهُمُ الرُّوحَانِيَةُ، وَتَجُولُ فِيهَا عُقُولُهُمُ النُّورَانِيَّةُ،

﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾،

أَيْ:مَحْرُوسَةً مِنْ مَرَدَةِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، مَحْفُوفَةً بِالأَسْمَاءِ النَّازِلَةِ (101) عَلَيْهَا مِنْ حَضْرَةِ القُدْسِ، مَرْجُومًا بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَرِقَ السَّمْعَ مِنْهَا مِنْ أَهْلِ التَّخْمِينِ وَالحَدْسِ، فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ سَادَاتٍ رِجَالٍ، وَسَرَاتِ أَبْطَالٍ، وَبِهِمْ

تُكْشَفُ الهُمُومُ وَالأَوْجَالُ، وَتُدْفَعُ عَوارِضُ الخِزْيِ وَالعَذابِ وَالنِّكالِ، وَتُقْضى المَآرِبُ وَالشُّئُونُ لِمَنْ تَوَسَّلَ بِجاهِهِمْ إِلى مَوْلاهُمُ الكَبِيرِ المُتَعالِ.

يَا رِجَــالَ المَشَارِقِ ❖ وَرِجَالَ المَغَــارِبِ
وَصُدُورًا تَهُــزُّهُمْ ❖ فِي صُـدُورِ النَّوائِبِ
أَيْنَـمَا قِيلَ عَنْكُمْ ❖ مِـنْ فَخِيمِ المَنَاقِبِ
دَارِكُـــونَا فَإِنَّنَا ❖ بَيْنَ مَاضِي المَخَالِبِ

وَقالَ بَعْضُ العارِفِينَ فِي قَوْلِهِ، وَبِالاِسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ إِلَى ءَاخِرِهِ:هُوَ قَوْلُهُ تَعالَى لِلشَّيْءِ إِذا أَرادَهُ

﴿كُن فَيَكُونُ﴾،

وَلِلَّهِ عِبادٌ إِنْ تَحَقَّقُوا بِأَسْمائِهِ تَكَوَّنَتْ لَهُمُ الأَشْياءُ كَما أَخْبَرَ تَعالَى عَنْ سَيِّدِنا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ بِقَوْلِهِ:

﴿بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾،

وَكَما أَخْبَرَ عَنْ سَيِّدِنا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِي إِحْياءِ المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِبْراءِ الأَكْمَهِ وَالأَبْرَصِ، وَكَما قالَ فِي حَقِّ نَبِيِّنا عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

﴿وَمَا رَمَيْتَ (102) إِذْ رَمَيْتَ﴾،

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ قُرْءانًا وَسُنَّةً، وَهُوَ جارٍ فِي أَتْباعِ الرُّسُلِ أَيْضًا كَقِصَّةِ ءاصِفَ وَالعَلاءِ بْنِ الحَضْرَمِي وَغَيْرِهِما مِمَّا لاَ يُعَدُّ كَثْرَةً وَاللهُ أَعْلَمُ، وَفِي تَفْسِيرِ الفاتِحَةِ لِلإِمامِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ الاِقْلِيشِي قالَ وُهَيْبُ بْنُ الوَرْدِي وَكانَ مِنَ الأَبْدالِ:لَوْ قالَ بِسْمِ اللهِ صادِقٌ عَلَى جَبَلٍ لَزالَ، وَإِلَى هَذا أَشارَ بَعْضُ أَهْلِ الإِشاراتِ فِي قَوْلِهِمْ بِاسْمِ اللهِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ كُنْ مِنْهُ وَمَعْناهُ أَنَّكَ إِذا قُلْتَها مُوقِنًا كُوْنَ اللهِ لَكَ حاجَتَكَ وَأَعْطاكَ طَلْبَتَكَ دُونَ تَأْخِيرٍ، وَعَدَّ الحاتِمِي مِنَ الكَرامَاتِ أَسْماءَ التَّكْوِينِ إِمَّا بِمَعْرِفَةِ الأَسْماءِ وَإِمَّا بِمُجَرَّدِ الصِّدْقِ، لأَنَّ بِاسْمِ اللهِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ كُنْ مِنْهُ، قالَ: وَكَذا أَشارَ إِلَيْهِ بَعْضُ العارِفِينَ مِنْ أَهْلِ التَّكْوِينِ

وَهُوَ صَحِيحٌ، وَقِيلَ: وَمِثْلُ هَذَا مَا أَخْرَجَهُ البَيْهَقِي وَابْنُ السَّنِيَّ وَابْنُ عُبَيْدٍ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ فِي أُذُنِ مُبْتَلَى فَأَفَاقَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَا قَرَأْتَ فِي أُذُنِهِ؟»

فَقَالَ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَإِنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (103)،

حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قَرَأَهَا عَلَى جَبَلٍ لَزَالَ»،

وَقُلْتُ فِي هَذَا المَعْنَى، الغَرِيبِ الأُسْلُوبِ وَالمَبْنَى، أَنَّ الاِسْمَ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ هُوَ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾،

وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾،

وَعَلَى السَّمَاوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾،

وَعَلَى الأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾،

وَعَلَى الجِبَالِ فَرَسَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾،

وَعَلَى البِحَارِ فَجَرَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ (104) فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾،

وَعَلَى العُيُونِ فَنَبَعَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾،

وَعَلَى السَّحَابِ فَأَمْطَرَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، انْتَهَى.

أَوْ تَقُولُ إِنَّ الاِسْمَ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ هُوَ الَّذِي أَقْسَمَ بِهِ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾،

وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾، الآيَةِ

وَعَلَى السَّمَاوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ وَعَلَى الأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾،

وَعَلَى الجِبَالِ فَرَسَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾،

وَعَلَى البِحَارِ فَجَرَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾،

وَعلَى العُيُونِ فَنَبَعَتْ هُوَ قَوْلُهُ تَعالَى:

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾،

وَعلَى السَّحابِ فَأَمْطَرَتْ (105) هُوَ قَوْلُهُ تَعالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ انْتَهَى.

وَظَهر لِي أَيْضًا مَحْمَلٌ ءاخَرَ فِي هَذا المَعْنَى البَدِيعِ الرَّائِقِ الأَسْنَى، رَوَّقَتْ بِهِ أَلْفَاظُهُ الجَلِيلَةَ الحَسْنَاءِ، وَكَمَّلَتْ بِهِ فَوَائِدَهُ وَحِكَمَهُ الغَرِيبَةِ الأُسْلُوبِ وَالمَبْنَى، وَهُوَ أَنَّ المُرَادَ بِالاِسْمِ الَّذِي وَضَعَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ أَيْ: عَلَى قُلُوبِ الغَافِلِينَ عَنِ التَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ فَأَظْلَمَ وَذَلِكَ لِأَنَّ نُورَ الإِيمَانِ لَمْ يُشْرِقْ عَلَيْهَا وَعَلَى نَهارِ بَصائِرِ العَارِفِينَ فَاسْتَنَارَ بِأَنْوارِ مُشَاهَدَتِهِ وَقُرْبِهِ وَالوُصُولِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَغْفُلُوا عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، خَوْفًا مِنْ وَحْشَةِ الفَقْدِ وَالبَيْنِ، وَغَوَاشِيَ الكَيْفِ وَالأَيْنِ، وَعَلَى سَمَاوَاتِ التَّلْقِيَاتِ وَسَمَاعِ الخِطَابِ فَاسْتَقَلَّتْ لِأَنَّهَا مَطْمَحُ أَبْصَارِ الوَاصِلِينَ، وَمُنْتَهَى مَعَارِجِ خَوَاطِرِ الكُمَّلِ الذَّاكِرِينَ، وَعَلَى أَرْضِ النُّفُوسِ المَغْمُورَةِ بِالخَيْرِ وَالطَّاعَةِ فَاسْتَقَرَّتْ لِئَلاَّ تُزَلْزِلَهَا رِيَاحُ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَهَوَاجِسُ الأَهْوَاءِ الشَّيْطَانِيَّةِ، (106) وَعَلَى جِبَالِ الأَعْرَافِ الرَّاسِخِينَ فِي دَقَائِقِ العُلُومِ وَالفُهُومِ فَأَرْسَتْ، لِئَلاَّ تَسْتَفِزَّهَا رِيَاحُ الدَّعَاوِي الكَاذِبَةِ، وَصَوْلَةُ الرُّعُونَاتِ البَشَرِيَّةِ وَالنُّفُوسِ الغَالِبَةِ، وَعَلَى عُيُونِ أَرْبَابِ الحَقَائِقِ وَالمَعَارِفِ فَنَبَعَتْ بِأَنْوَارِ الحِكَمِ وَالمَوَاهِبِ، وَأَسْرَارِ الفَوَائِدِ وَالأَذْوَاقِ وَالمَشَارِبِ، وَعَلَى بِحَارِ المُتَوَاضِعِينَ البَاكِينَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَجَرَتْ بِدُمُوعِ الأَسَفِ وَالحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا لَمْ تُدْرِكْهُ مِنْ عُلُوِّ المَكَانَةِ فِي مَقَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَعَلَى سَحَابِ مَوَادِّ إِمْدَادَاتِ الأَفْرَادِ المُسْتَغْرِقِينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ فَأَمْطَرَتْ بِعَوَاطِفِ الرَّحَمَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَنَوَامِيِّ البَرَكَاتِ القُدْسَانِيَّةِ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَيْضًا مُحْمَلٌ ءاخَرُ وَهُوَ أَنَّ الاِسْمَ الَّذِي وَضَعَهُ

اللهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، هُوَ اسْمُ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَخْلُوقُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ الْعَالِيَةِ، وَأَوْصَافِ كَمَالاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ السَّامِيَةِ (107) وَذَلِكَ لأَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ مِنْ سَحَائِبِ الأَمْطَارِ النَّافِعَةِ خَالِيَةً، وَالأَرْضُ مِنْ حُلَلِ الأَزْهَارِ الْيَانِعَةِ عَارِيَةً، وَالْكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةً لا شَمْسَ فِيهِ وَلا قَمَرَ، وَلا سَحَابَ وَلا مَطَرَ، وَلا بَسَاتِينَ وَلا زَهْرَ، وَلا حَدَائِقَ وَلا نُورَ، وَلا جِنَّ وَلا مَلَكَ وَلا بَشَرَ، وَلا مُلْكَ وَلا مَلَكُوتَ وَلا غِزَّ وَلا ظَفَرَ، سِوَى هَوَاتِفَ تَهْتِفُ بِنَشْأَةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَبَشَائِرَ تُبَشِّرُ بِمَجِيئِهِ لِمَنْ كَانَ صَادِقَ الْفِرَاسَةِ صَحِيحَ النَّظَرِ، وَدَلائِلَ تَلُوحُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾، الآيَةُ

فَلَمَّا ظَهَرَ هَيْكَلُهُ النُّورَانِيُّ فِي مَظَاهِرِ التَّجَلِّيَاتِ الإِحْسَانِيَةِ، وَأَشْرَقَ كَوْكَبُهُ الأَحْمَدِيُّ فِي فَلَكِ السَّعَادَةِ الإِيمَانِيَّةِ، وَلاحَتْ دَلائِلُهُ فِي أَسَارِيرِ الآيَاتِ الْفُرْقَانِيَّةِ، أَيْنَعَتْ بِسُقْيَاهُ الأَشْجَارُ، وَتَعَطَّرَتْ بِرَيَّاهُ الأَزْهَارُ، وَسَبَّحَتْ بِدَعَوَاتِهِ الأَمْطَارُ، وَطَابَتْ بِبَرَكَتِهِ الثِّمَارُ، وَأَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الشُّمُوسُ وَالأَقْمَارُ، وَاسْتَضَاءَتْ بِبَاهِرِ ءَايَاتِهِ الأَنْجَادُ وَالأَغْوَارُ، (108) وَتَضَاءَلَتْ عِنْدَ جُودِ يَمِينِهِ الْغَمَائِمُ وَالْبِحَارُ، وَسَعِدَتْ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ الأَزْمِنَةُ وَالأَعْصَارُ، وَتَشَرَّفَتْ بِصُحْبَتِهِ الطَّاهِرَةِ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ السَّرَاتِ الأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْجَهَابِذَةِ الأَحْبَارِ، صَلاةً تُنْجِينَا بِهَا مِنْ شَرِّ الأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ، وَتَرْحَمُنَا بِبَرَكَتِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

ثُمَّ عَثَرْتُ أَيْضًا عَلَى مَحْمَلٍ ءَاخَرَ، مُوَافِقٍ فِي الْمَعْنَى لِمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكَلامِ وَتَأَخَّرَ، فِي قَوْلِهِ وَبِالاسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ إِلَى ءَاخِرِهِ وَهُوَ أَنَّ مَعْنَى وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ أَثْبَتَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى دَامَ ظَلامُهُ إِلَى تَمَامِهِ، كَمَا قَالَهُ بَعْضُ الْعَارِفِينَ،

﴿وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ﴾،

أَيْ: أَثْبَتَّهُ عَلَى النَّهَارِ حَتَّى اسْتَنَارَ إِلَى تَمَامِهِ،

﴿وَعَلَى السَّمَاوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ﴾،

أيْ: ارْتفَعتْ،

﴿وَعَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ﴾،

أيْ: ثَبَتَتْ وَتمَكَّنتْ،

﴿وَعَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ﴾،

أيْ: وَقفَتْ وَتَبَتَتْ،

﴿وَعَلَى الْعُيُونِ فَنَبَعَتْ﴾،

أيْ: خَرجَ مِنْهَا المَاءُ حَوْلَ العَرْشِ أيْ: مِنْ جَانِبِه، انْتَهَى.

وَظهَرَ لِي أيْضًا مُحْمَلٌ ءَاخرَ شَرِيفٌ بَدِيعٌ رَائِقٌ مُنِيفٌ فِي هَذَا الاِسْمِ المُنَوَّرِ اللَّطِيفِ الَّذِي وَضَعَهُ اللّٰه عَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ أَنَّهُ اِسْمُ حَبِيبِهِ المُحَمَّدِيِّ النَّبَوِيِّ، الشَّرِيفِ العَزِيزِ القَدْرِ المُصْطَفَوِيِّ، الَّذِي وَضَعَهُ عَلَى لَيْلِ الهُجَّعِ القَائِمِينَ لَهُ فِي سَوادِ اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَعَلَى نَهَارِ العُشَّاقِ اللاَّهِجِينَ بِذِكْرِهِ (109) فِي البُكَرِ وَالآصَالِ فَاسْتَنَارَ، وَعَلَى سَمَاوَاتِ أَرْبَابِ الأَحْوَالِ وَالمَشَارِبِ وَالأَذْوَاقِ فَاسْتَقَلَّتْ، وَعَلَى أَرْضِ نُفُوسِ الأَجِلَّةِ المَوْسُومِينَ بِجَمِيلِ الأَوْصَافِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ فَاسْتَقَرَّتْ، وَعَلَى جِبَالِ الأَوْتَادِ المُقَلَّدِينَ مِنْ مَوَاهِبِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ بِنَفَائِسِ الأَعْلاَقِ فَرَسَتْ، وَعَلَى بِحَارِ أَصْحَابِ المَوَاجِدِ وَالأَشْوَاقِ الَّتِي جَعَلَهَا اللّٰه لَهُمْ مَرْكَبًا يَرْكَبُونَ فِيهَا إِلَى حَضْرَةِ مَوْلاَهُمُ المَلِكِ الخَلاَّقِ فَجَرَتْ، وَعَلَى عُيُونِ أَهْلِ الخَوْفِ البَاكِينَ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ بِالحَنِينِ وَالأَنِينِ وَدُمُوعِ الآمَاقِ فَنَبَعَتْ، وَعَلَى سَحَابِ المُتَضَرِّعِينَ لِلّٰهِ فِي وُقُوتِ الأَسْحَارِ بِلِسَانِ الذُّلِّ وَالاِفْتِقَارِ وَالخُشُوعِ وَالخُضُوعِ وَالاِنْكِسَارِ وَطَلَبِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ فَهَطَلَتْ بِوَابِلِ الرَّحَمَاتِ وَغَزِيرِ الفُتُوحَاتِ وَالمَوَاهِبِ وَالأَسْرَارِ وَأَمْطَرَتْ، فَعَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللّٰهِ فِي المَسَاءِ وَالصَّبَاحِ، مَا ثَمِلَ (110) وَالِهٌ بِمُدَامِ مَحَبَّةِ المُصْطَفَى وَصَاحَ، وَتَمَايَلَ بِغَرَامِهِ وَسَكِرَ وَطَاحَ، وَكَتَمَ شَوْقَهُ وَعِشْقَهُ حَتَّى غَلَبَهُ الوَجْدُ فَعَرْبَدَ وَنَطَقَ بِمَا فِي ضَمِيرِهِ وَبَاحَ، وَالحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَلِسَيِّدِنَا الوَالِدِ، الوَرِعِ الزَّاهِدِ، النَّاسِكِ العَابِدِ، العَلاَّمَةِ العَارِفِ، الغَوْثِ المُكَاشِفِ،

الوَلِيِّ الصَّفيِّ الصَّالح أَبي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ مُحَمَّدٍ المَدْعُوِّ بِالصَّالِحِ هَذِهِ القَصِيدَةُ فِي اللِّوَاذِ بِالصَّالِحِينَ وَالتَّعلُّق بِأَذْيالِهِمْ.

نَحْــــنُ فِي ذِمَّةِ الرِّجَالِ المِلاَحِ ❖ سَادَتِــي الصَّالِحِينَ أَهْلِ الفَلاَحِ

وَجُنَتِــي تَحْتَ رِجْلِ كُلِّ تَقِيٍّ ❖ أَوْ تَقِيَّـــــــةٍ مِنْ ذَوَاتِ الوِشَاحِ

حَاشَ أَنْ يُسْلِمُونِي مِنْ غَيْرِ زَادٍ ❖ أَوْ أُرَى فِي الـــوَرَى بِغَيْرِ سِلاَحِ

فِي حِمَاهُمْ جَعَلْتُ نَفْسِي وَأَهْلِي ❖ وَبِهِمْ عُـــــذْتُ مِنْ عُتُوِّ الرِّيَاحِ

وَلَهُمْ رَاحَتِـــــي تُمَدُّ فَأَحْظَى ❖ نَاعِمًا فِي المَسَـــاءِ أَوْ فِي الصَّبَاحِ

وَإِذَا مَا افْتَقَــــرْتُ لَمْ أُلْفِ إِلْفًا ❖ مِثْلَهُمْ فِي النَّدَى وَنَيْلِ النَّجَاحِ [111]

لَيْسَ لِي غَيْرُهُمْ وَهَبْهُمْ جَفَوْنِي ❖ لَيْسَ لِــي عَنْ جَنَابِهِمْ مِنْ بَرَاحِ

وَبِهِمْ أَرْتَقِـــــي مَرَاقِي المَعَالِي ❖ وَبِهِمْ أَتَّقِي قِـــــرَاعَ الصِّفَاحِ

وَبِهِمْ كُلُّ مَنْ عَلَـــيَّ تَعَدَّى ❖ يَنْثَنِي بَاسِرًا بِرَشْقِ الرِّمَــــاحِ

وَبِهِـــــمْ يُسْتَدَرُّ رِزْقِي وَيَنْمُو ❖ أَيْنَمَا كُنْتُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي

مَا اعْتَرَتْنِي الهُمُومُ إِلاَّ اعْتَرَتْنِي ❖ غَيْرَةٌ مِنْهُمُ فَيَبْـــدُو انْشِرَاحِي

أَبْتَغِي الزُّهْدَ مِنْهُــمُ وَهُوَ نَهْجٌ ❖ لَهُــــمُ فِي الحَرَامِ أَوْ فِي المُبَاحِ

وَاحْتِرَاسِي مِنَ النَّمِيمَةِ وَالغِيبَةِ ❖ وَالغَيِّ وَالخَنَا وَالسِّـــــــفَاحِ

كُلُّ هَذَا طَلَبْتُهُ مِنْ مَوَالِـــــي ❖ وَهْوَ هَيْنٌ عَلَى الوُجُوهِ الصِّبَــاحِ

مَا أَنَا غَيْرُ عَبْدِهِمْ إِنْ رَضَــوْنِي ❖ وَهُـمُ عُدَّتِي وَرِيشُ جَنَاحِـــي

وَلَهُــمْ تَسْتَرِيحُ رُوحِي وَمِنْهُمْ ❖ أَرْتَجِـــــي أَنْ أَفُوزَ يَوْمًا بِرَاحِ

يَا لِرَاحٍ سَأَلْتُـــــهَا لَوْ سَرَتْ فِي ❖ لَسَرَى لِي السُّلُــوُّ عَنْ كُلِّ لاَحِ

يَا رِجَالَ الإِلَهِ أَنْــــتُمْ مُجَنِّي ❖ مِنْ زَمَانٍ يَرُوعُ قَلْبِـــي كُلاَحِ

يَا رِجَـــالَ الإِلَهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ❖ قَدْ سُجِنْـــــتُ فَبَادِرُوا بِالسَّرَاحِ

يَرْحَمُ اللهُ مَـــنْ يُدَارِكُ عَبْدًا ❖ ثَمِلاً مِنْ هَوَاهُ لَيْـــسَ بِصَاحِ

حَقُّهُ أَنْ يَنُوحَ مَـــــا دَامَ حَيًّا ❖ إِذْ مَضَى عُمْرُهُ بِغَيْرِ نِيَــــاحِ

يَا رِجَـــالَ الإِلَهِ عَارٌ عَلَيْكُمْ ❖ أَنْ تُغِيرَ الخُيُولُ وَسْطَ مُرَاحِ [112]

أَسْـــــأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا ❖ بِرِضَاكُمْ فَفِيــــهِ كُلُّ رَبَاحِ

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُـــــنَّ عَلَيْنَا ❖ بِرِضَاكُمْ فَفِيهِ كُـــلُّ نَجَاحِ

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَاجِهَ فَتْــــحٌ ❖ مِنْكُــــمُ خَاطِرِي فَفِيهِ صَلاَحِ

بالنَّبـــي المُصْطَفى إمَام البَرَايَا	❖	مَعْــدِنِ الجُودِ وَالوَفا وَالسَّمَاح
فَعَلَيْهِ الصَّلاةُ مَا أَخْضَرَّ رَوْضٌ	❖	وَانْثَنَى الغُصْنُ مِنْ هُبُوب الرِّيَاحَ
وَعَلَيْـــهِ السَّلامُ مَا أَنْهَلَّ وَبْلٌ	❖	وَبَدَا النُّــورُ فَاتِحًا فِي البِطَاحَ
وَتَعَطَّرَ مِـــنْ شَذَا الوَرْدِ جَوٌّ	❖	وَتَبَسَّمَ ثَغْرُ كُـــــلِّ أَقَاحَ
وَشَدَا مُنْشِدٌ وَغَنَّـــــى هَزَارٌ	❖	وَعَــلَا الجَوَّ طَائِرٌ بِجَنَـــاحَ

وَلاحَ لِي أَيْضًا مَحْمَلٌ فَائِقٌ سَنِيٌّ، عَجِيبٌ غَرِيبٌ رَائِقٌ بَهِيٌّ (113) فِي هَذَا الاسْمِ الشَّرِيفِ، المُعَظَّمِ المُنِيفِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَبِالاسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَاظْلَمَ، أَنَّهُ هُوَ الاسْمُ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ عَلَى لَيْلِ حَاجِبِ الذَّاتِ المُحَمَّدِيَّةِ العَطِرَةِ النَّسِيمِ وَالأَرَجِ، فَأَظْلَمَ أَيْ: اِسْوَدَّ شَعْرُهُ الزِّنْجِيُّ فَسَبَى بِحُسْنِهِ البَهِيِّ العُقُولَ وَالمُهَجَ، وَعَلَى نَهَارِ وَجْهِهِ الأَبْهَرِ فَاسْتَنَارَ، وَأَضْحَى كَوَرْدٍ سَقَتْهُ مِيَاهُ الجَمَالِ بِالضَّرَجِ، وَعَلَى سَمَاوَاتِ الشَّوَارِقِ وَالأَنْوَارِ فَاسْتَقَلَّتْ وَخَجِلَتْ كَوَاكِبُهَا مِنْ سَنَا جَمَالِهِ الأَحْمَدِيِّ العَلِيِّ القَدْرِ وَالدَّرَجِ، وَعَلَى أَرْضِ النَّوَارِ وَالأَزْاهِرِ فَاسْتَقَرَّتْ وَأَهْدَتْ حُلَلَهَا السُّنْدُسِيَّةَ لِمَشَاهُ فَازْدَادَ حُسْنُهَا بِذَلِكَ وَابْتَهَجَ، وَعَلَى جِبَالِ بِقَاعِهِ المُنَوَّرَةِ فَرَسَتْ وَفَرِحَتْ حِينَ رَأَتْ وَجْهَهُ المُنَوَّرَ وَطَرْفَهُ الكَحِيلَ وَخَدَّهُ الأَسِيلَ وَثَغْرَهُ المُزَيَّنَ بِالفَلَحِ، وَعَلَى بِحَارِ إِمْدَادَاتِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ فَجَرَتْ وَسَكَنَ مَا تَلاطَمَ مِنْ أَمْوَاجِهَا فَدَخَلَ فِي فَيْضِ عُبَابِهِ وَانْدَمَجَ، وَعَلَى عُيُونِ مَوَاهِبِهِ النَّبَوِيَّةِ، فَنَبَعَتْ وَسَقَتْ (114) بِجَدَاوِلِهَا رِيَاضَ كُلِّ مَحْزُونٍ فَذَهَبَ هَمُّهُ وَغَمُّهُ وَانْفَرَجَ، وَعَلَى سَحَابِ غُيُوثِ رَحَمَاتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ فَأَمْطَرَتْ، وَأَحْيَتْ بِغَزِيرِ وَبْلِهَا جِنَانَ كُلِّ مُحِبٍّ فَسَلَكَ مَسَالِكَ أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلاحِ فَنَهَجَ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاةً تُنْجِينَا بِهَا مِنْ أَزَمَاتِ الضِّيقِ وَالحَرَجِ، وَتَحْفَظُنَا بِهَا مِنَ الانْحِرَافِ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَالعِوَجِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

حَـــيِّ المَنَازِلَ ذَاتَ الشِّيحِ وَالأَرَجِ	❖	وَانْشُدْ فُــؤَادَ مَشُوقٍ لِلدِّيَارِ شَجِ
وَعُجْ لِبَانَاتِ سَلْــعٍ وَالنَّقَا فَعَسَى	❖	تَقْضِي لُبَانَاتِ صَـــبٍّ بِالهَوَى لَعِجِ
وَعَدِّ عَنْ قَاعَةِ الوَعْسَــاءِ إِنَّ بِهَا	❖	ءَارَامَ سِرْبٍ تَصِيدُ الأُسْدَ بِالدَّعَــجِ
حُـــورِيَّةُ الطَّرْفِ فِي جَنَّاتِ وَجْنَتِهَا	❖	وَرْدٌ سَقَتْــهُ مِيَاهُ الحُسْنِ بِالضَّرَجِ

أَرْعَى لِطَلْعَتِهَا البَــــدْرَ المُنِيرَ وَقَدْ	❖	أَمْسَى بِأُفْقِ سَنَـــــاهَا عَالِي الدَّرَجِ
سُبْحَانَ مَنْ صَاغَ مِسْكَ الخَالِ مِنْ حَمَإٍ	❖	وَزَانَ مَبْسَمَــــــــهَا الدُّرِّي بِالفَلَجِ
وَجَاعِلِ اللَّيْلِ مِنْ أَصْدَاغِـــــهَا سَكَنًا	❖	وَثَغْرِهَا فَالِقِ الإِصْبَاحِ بِالبَلَــــجِ
فَيَا مُلَيكَةَ عَصْرِ الحُسْـنِ هَاكِ يَدِي	❖	فَأَدْمِي القُلَيْبَ وَلَا تَخْشَيْ مِنَ الحَرَجِ
أَقْصَى نِهَايَةَ عُبَّـــــادِ الجَمَالِ بِأَنْ	❖	يَفْنَوْا وَيَفْـــدُوكِ بِالأَرْوَاحِ وَالمُهَجِ
فِي طَيِّ نَشْرِكِ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ سَرَتْ	❖	فَعَطَّرَتْ سَائِرَ الأَرْجَــاءِ بِالأَرَجِ (115)
فَأَيُّ عَيْنٍ إِلَى مَـــرْءَاكِ مَا طَمَحَتْ	❖	وَأَيُّ قَلْــــبٍ إِلَى لُقْيَاكِ لَمْ يَهِجِ
يَا هَلْ تُرَى يَبْــــرَحُ التَّبْرِيحُ بِي	❖	وَأَرَى قِبَابَ يَثْـرِبَ ذَاتِ المَنْظَرِ البَهِجِ
وَأَنْشُرُ الطَّـــــرْفَ أَنْ بَانَتْ مَعَالِمُهَا	❖	يَا عَيْـــنُ هَاذِي دِيَارُ الحُبِّ فَابْتَهِجِ
فَطِبْ بِطَيْبَةَ وَانْشَقْ عَـــرْفَ تُرْبَتِهَا	❖	وَعَنْ حِمَا حُجْرَةِ المُخْتَــــارِ لَا تَعُجِ
فَهْوَ الشَّفِيعُ وَمَنْ يَصْعَـدْ بِرَوْضَتِهِ	❖	لِمِنْبَرِ الشُّكْرِ يَــــرْقَى أَرْفَعَ الدَّرَجِ
صَلَّى عَلَيْــهِ إِلَـهُ العَرْشِ مَا ذُكِرَتْ	❖	أَوْصَــــــــافُهُ فِي مَدِيحٍ رَائِقٍ بَهِجِ

وَلَاحَ لِي أَيْضًا مَحْمَلٌ ءَاخَرُ فِي قَوْلِهِ وَبِالاِسْمِ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى اللَّيْلِ فَاظْلَمَ إِلَى ءَاخِرِهِ إِنَّهُ الاِسْمُ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ عَلَى لَيْلِ شَعَرِ رَأْسِ حَبِيبِهِ الحَالِكِ فَأَظْلَمَ بِسَبَحِ الحُسْنِ وَاسْتَوْلَى سُلْطَانُ جَمَالِهِ عَلَى قُلُوبِ المُحِبِّينَ فَحَكَمَ وَاحْتَكَمَ، وَعَلَى أَنْهَارِ جَبِينِهِ المُنَوَّرِ فَاسْتَنَارَ بِأَنْوَارِ الهِدَايَةِ وَجَلَا بِسَنَا ضِيَائِهِ مَا غَشِيَ الأَبْصَارَ وَالبَصَائِرَ مِنْ ظَلَامِ الجَهْلِ وَارْتَكَمَ، وَعَلَى سَمَاوَاتِ حَضْرَةِ المَلَكُوتِ الَّتِي عَرَجَ إِلَيْهَا لِزِيَارَةِ مَوْلَاهُ حَتَّى رَءَاهُ رُؤْيَةَ (116) عَيْنٍ وَكَلَّمَهُ مُشَافَهَةً بِلَا أَيْنٍ وَلَا بَيْنٍ فَاسْتَقَلَّتْ فَرَحًا وَسُرُورًا بِوُصُولِهِ إِلَيْهَا، وَبَايَعَتْهُ أَمْلَاكُهَا وَقَالَتْ: أَهْلًا وَسَهْلًا بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَشَفِيعِ الأُمَّةِ الطَّيِّبِ المَبْدَإِ وَالمُخْتَتَمِ، وَعَلَى أَرْضِ البِقَاعِ المُشَرَّفَةِ الَّتِي وَطِئَهَا بِقَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ فَاسْتَقَرَّتْ لِنُزُولِ الوَحْيِ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ مُخْضَرَّةً تَزْهُو عَلَى سَائِرِ الأَرَضِينَ السَّبْعَةِ وَطِيبُهَا يَفُوحُ فِي زُهُورِ البِطَاحِ وَالهِضَابِ وَالأَكَمِ، وَعَلَى جِبَالِ الأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا وَتُحِبُّهُ، فَرَسَتْ وَتَشَرَّفَتْ بِذَلِكَ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا وَكُلِّ مَكَانٍ مُعَظَّمٍ وَمُحْتَرَمٍ، وَعَلَى بِحَارِ المِيَاهِ فَجَرَتْ وَسَكَنَتْ أَمْوَاجُهَا وَتَضَاءَلَتْ عِنْدَ جُودِ يَمِينِهِ لِمَا رَأَتْ مِنْ فَيْضِ المَاءِ مِنْ (117) بَيْنِ أَصَابِعِهِ المَلْحُوظَةِ بِاليُمْنِ وَالبَرَكَةِ وَالسِّرِّ المُكْتَتَمِ، وَعَلَى عُيُونِ الآبَارِ الَّتِي تَفَلَ فِيهَا وَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَنَبَعَتْ، وَعَذُبَ مَاؤُهَا فَصَارَ حُلْوَ المَذَاقِ وَالمَطْعَمِ، وَعَلَى سَحَابِ الغَمَامِ الصَّيِّبِ

فَأَمْطَرتْ، وَهَطَلَتْ بِوَابِلِ الغُيُوثِ النَّافِعَةِ وَغَزِيرِ الدِّيَم، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاةً تَعْتِقُ بِهَا مِنَّا الذِّمَمَ، وَتَهْطِلُ بِهَا عَلَيْنَا سَوَابِغَ النِّعَم، وَتَدْفَعُ بِهَا عَنَّا عَوَارِضَ البَلايَا وَالأَسْوَاءِ وَالنِّقَم، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

يَا عَيْـــنَ عَيْنِ اللهِ يَا سِرَّ الهُدَى	❖	يَا نُقْطَــةَ الخَطِّ البَدِيعِ الأَقْوَمِ
يَا مَعْدِنَ الأَسْرَارِ يَا كَنْزَ الغِنَا	❖	يَا مَشْرِقَ الأَنْوَارِ لِلْمُتَوَسِّمِ (118)
يَا فَاتِـــحَ الأَمْرِ العَظِيمِ وَخَا	❖	تِمَ الخُلْقِ البَدِيعِ وَنُكْتَةً لَمْ تُفْهَمِ
يَا جَامِعًا شَمْلَ الشَّتَاتِ ظُهُورُهُ	❖	نَظْمًا وَقَبْلَ وُجُـــودِهِ لَمْ يُنْظَمِ
يَا رُوحَ أَفْلاكِ العُـــلا وَمُدِيرَهَا	❖	وَمُحَرِّكَ الجُرْمِ القَصِيِّ الأَعْظَمِ
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَـــا مَنْ نُـورُهُ	❖	كَالشَّمْسِ يَجْلُو كُلَّ لَيْلٍ مُّظْلِمِ

قُلْتُ قَدْ عَثَرْتُ عَلَى كَلامٍ لِبَعْضِ الأَئِمَّةِ السَّادَاتِ وَالجَهَابِذَةِ العُلَمَاءِ القَادَاتِ الَّذِينَ نَوَّرَ اللهُ بَصَائِرَهُمْ بِأَنْوَارِ الحَقَائِقِ وَفُنُونِ التَّفْسِيرِ، وَأَطْلَقَ (119) أَلْسِنَتَهُمْ فِي عُلُومِ الإِشَارَاتِ وَلَطَائِفِ التَّعْبِيرِ، فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿الٓمٓر، تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾،

إِلَى قَوْلِهِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾،

إِلَى قَوْلِهِ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾،

فَظَهَرَ لِي أَنْ أَنْقُلَهُ هُنَا، وَأَجْعَلَهُ كَالتَّتِمَّةِ لِهَذَا المَعْنَى، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: إِنَّ حُرُوفَ الهِجَاءِ فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ مِنَ المُتَشَابِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَهِيَ سِرُّ اللهِ فِي القُرْءَانِ فَنَحْنُ نُؤمِنُ بِظَاهِرِهَا وَنَكِلُ العِلْمَ فِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَفَائِدَةُ ذِكْرِهَا طَلَبُ الإِيمَانِ بِهَا، وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فِي كُلِّ كِتَابٍ سِرُّ اللهِ، وَسِرُّ اللهِ فِي القُرْءَانِ أَوَائِلُ السُّوَرِ»، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

رَضيَ اللّٰهُ عَنْهُ: «إنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ صَفْوَةٌ وَصَفْوَةُ هَذَا الكِتَابِ حُرُوفُ التَّهَجِّي»، وَأَوْرَدَ عَلَى هَذَا القَوْلِ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُخَاطِبَ اللّٰهُ عِبَادَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُونَ، فَأُجِيبَ بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّفَ عِبَادَهُ بِمَا لاَ يُعْقَلُ مَعْنَاهُ كَرَمْيِ الجِمَارِ فَإِنَّهُ مِمَّا لاَ يُعْقَلُ مَعْنَاهُ، وَالحِكْمَةُ فِيهِ هُوَ كَمَالُ الانْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ، فَكَذَلِكَ هَذِهِ الحُرُوفُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا وَلاَ يَلْزَمُ البَحْثُ عَنْهَا (120) وَقَالَ بَعْضٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: هِيَ مَعْقُولَةُ المَعَانِي ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِيهَا، فَقِيلَ: كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللّٰهِ تَعَالَى، فَالأَلِفُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ اللّٰه، وَاللاَّمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٌ، وَالمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٌ، وَقِيلَ:الأَلِفُ ءَالاَءُ اللّٰهِ، وَاللاَّمُ لُطْفُهُ، وَالمِيمُ مُلْكُهُ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ العَرَبَ تَذْكُرُ حَرْفًا مِنْ كَلِمَةٍ تُرِيدُ كُلَّهَا كَمَا قَالَ الرَّاجِزُ:

قُلْتُ لَهَا قِفِي فَقَالَتْ لِـي قَافْ ❖ لاَ تَحْسِبِـي أَنَّا نَسِينَا الإِيجَافْ

قَوْلُهَا: ﴿قَافْ﴾، أَيْ: وَقَفْتُ فَاكْتَفَتْ بِجُزْءِ الكَلِمَةِ عَنْ كُلِّهَا، وَالإِيجَافُ الإِسْرَاعُ، وَقِيلَ: هِيَ أَسْمَاءُ اللّٰهِ مُقَطَّعَةٌ، وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ تَأْلِيفَهَا لَعَلِمُوا اسْمَ اللّٰهِ الأَعْظَمِ، أَلاَ تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴿الٓرٰ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿نٓ﴾، وَلاَ يَحْكُونَ مَجْمُوعَهَا الرَّحْمَانُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَقْسَامٌ أَقْسَمَ اللّٰهُ بِهَا لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا لأَنَّهَا مَبَانِي كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلْيَا، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا وَإِنْ كَانَ المُرَادُ كُلَّهَا لأَنَّهَا كَمَا تَقُولُ قَرَأْتُ الحَمْدُ لِلّٰهِ وَتُرِيدُ أَنَّكَ قَرَأْتَ السُّورَةَ بِكَمَالِهَا فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهَذِهِ الحُرُوفِ أَنَّ هَذَا الكِتَابَ هُوَ الكِتَابُ المُثْبَتُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، أَوْ هُوَ القُرْءَانُ الَّذِي وَعَدْتُكَ بِنُزُولِهِ عَلَيْكَ، وَقِيلَ: فِيهِ إِضْمَارٌ وَالمَعْنَى هَذَا الكِتَابُ الَّذِي وَعَدْتُكَ بِهِ وَكَانَ اللّٰهُ تَعَالَى قَدْ وَعَدَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِ (121) كِتَابًا لاَ يَمْحُوهُ المَاءُ وَلاَ يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ فَلَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ القُرْءَانُ قَالَ:هَذَا الكِتَابُ الَّذِي وَعَدْتُكَ بِهِ، انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ. ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ مَجْمُوعَ الأَحْرُفِ المُنَزَّلَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ سُورَةً، وَهِيَ: الأَلِفُ وَاللاَّمُ وَالمِيمُ، وَالصَّادُ وَالرَّاءُ وَالكَافُ وَالهَاءُ وَاليَاءُ وَالعَيْنُ وَالطَّاءُ وَالسِّينُ وَالحَاءُ وَالقَافُ وَالنُّونُ، وَهِيَ نِصْفُ حُرُوفِ المُعْجَمِ، وَهِيَ الَّتِي فِي فَوَاتِحِ السُّوَرِ، وَمَعَانِيهَا لاَ تُحَدُّ وَلاَ تُحْصَى، وَكُلٌّ مِنَ العُلَمَاءِ العَارِفِينَ، وَالأَئِمَّةِ المَاهِرِينَ فِي فُنُونِ العُلُومِ الرَّاسِخِينَ، حَمَلَهَا عَلَى حَسَبِ مَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْهِ، وَفَسَّرَهَا بِحَسَبِ مَا

أُلْقِيَ فِي ذِهْنِهِ وَأُلْهِمَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ حُرُوفَ التَّهَجِّي كُلَّهَا تُشِيرُ إِلَى مَا أَكْرَمَ اللهُ بِهِ حَبِيبَهُ مِنْ كَمَالاَتِ أَوْصَافِهِ الجَلِيلَةِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلاَقِهِ الجَمِيلَةِ، وَعُلُوِّ مَقَامَاتِهِ السَّنِيَّةِ الحَفِيلَةِ، فَالأَلِفُ تُشِيرُ إِلَى أَلِفِ إِحْسَانِ مَوْلاَهُ إِلَيْهِ، وَإِظْهَارِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِي حَالِهِ وَمَآلِهِ، وَالبَاءُ تُشِيرُ إِلَى بَاءِ بُرْهَانِهِ الجَلِيِّ الَّذِي أَظْهَرَهُ (122) عَلَى يَدِيهِ وَبُرُورِهِ بِهِ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ، وَالتَّاءُ تُشِيرُ إِلَى تَاءِ تَأْيِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَحُسْنِ ءَادَابِهِ مَعَهُ فِي جَوَابِهِ وَمَقَالِهِ.

وَالثَّاءُ تُشِيرُ إِلَى ثَاءِ ثَنَائِهِ عَلَيْهِ وَثَوَابِهِ الغَزِيرِ لِمَنْ أَكْثَرَ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ، وَأَهْدَاهَا لَهُ فِي بُكُورِهِ وَءَاصَالِهِ، وَالجِيمُ تُشِيرُ إِلَى جِيمِ جَمَالِهِ البَاهِرِ وَجَلاَلِهِ القَاهِرِ الَّذِي تَخْضَعُ المُلُوكُ إِجْلاَلاً لِهَيْبَتِهِ وَتُفْرِشُ خُدُودَهَا لِغُبَارِ نِعَالِهِ، وَالحَاءُ تُشِيرُ إِلَى حَاءِ حِكْمِهِ وَحِلْمِهِ الَّذِي عَمَّ القَاصِيَ وَالدَّانِيَ وَلَمْ يُؤَاخِذْ أَحَدًا بِمَا جَنَى فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَالخَاءُ تُشِيرُ إِلَى خَاءِ خِصَالِهِ الذَّاتِيَّةِ وَخِلاَفَتِهِ المَقْبُولَةِ المَرْضِيَّةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَصَلاَحِ حَالِهِ، وَالدَّالُ تُشِيرُ إِلَى دَالِ دَلاَئِلِهِ الوَاضِحَةِ وَدُعَائِهِ لِأُمَّتِهِ بِالعَفْوِ وَالمَغْفِرَةِ وَالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنَكَالِهِ، وَالذَّالُ تُشِيرُ إِلَى ذَالِ ذِكْرِهِ لِمَوْلاَهُ وَذُلِّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمُقْتَضَى كِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ وَذَوَبَانِهِ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي (123) المَاءِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ فِي مَقَامِهِ وَتَرْحَالِهِ، وَالرَّاءُ تُشِيرُ إِلَى رَاءِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِ اللهِ وَرِقَّتِهِ لِأَحِبَائِهِ وَأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ، وَالزَّايُ تُشِيرُ إِلَى زَايِ زَعَامَتِهِ وَزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا وَزَهْرَتِهَا الَّتِي تَعُوقُ العَبْدَ عَنِ اللهِ، وَتَشْغَلُهُ عَنِ الجِدِّ فِي خِدْمَتِهِ وَتَمْنَعُهُ مِنْ قُرْبِهِ وَوِصَالِهِ، وَالطَّاءُ تُشِيرُ إِلَى طَاءِ طَهَارَتِهِ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ وَطُمَأْنِينَتِهِ بِذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، الَّتِي فِيهَا صَلاَحُهُ وَبُلُوغُ قَصْدِهِ وَءَامَالِهِ، وَالظَّاءُ تُشِيرُ إِلَى ظَاءِ ظِلاَلِهِ المُفَيَّأَةِ عَلَى الخَلاَئِقِ وَظُهُورِهِ فِي مَقَامَاتِ الدُّنُوِّ وَوُصُولِهِ إِلَى اللهِ وَاتِّصَالِهِ، وَالكَافُ تُشِيرُ إِلَى كَافِ كِفَايَتِهِ بِاللهِ وَكَرَمِهِ الَّذِي غَمَرَ العِبَادَ بِجُودِهِ العَمِيمِ وَفَيْضِ نَوَالِهِ، وَاللاَّمُ تُشِيرُ إِلَى لاَمِ لَبِنَةِ تَمَامِهِ الَّتِي هِيَ خِتَامُ بِنَاءِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، وَلِسَانِ تَرْجُمَانِ القِدَمِ الدَّالِّ عَلَى اللهِ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، (124) وَالمِيمُ تُشِيرُ إِلَى مِيمِ مَقَامِهِ الرَّفِيعِ القَدْرِ وَمُلْكِهِ المُؤَيَّدِ بِالفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَالعِزِّ وَالظَّفَرِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَالنُّونُ تُشِيرُ إِلَى نُونِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ وَنَزَاهَةِ جَنَابِهِ المُعَظَّمِ المُنِيفِ، وَنَظَافَتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَعْظِيمِهِ لِمَوْلاَهُ وَإِجْلاَلِهِ، وَالصَّادُ تُشِيرُ إِلَى صَادِ صِدْقِهِ الكَامِلِ وَصِيَانَتِهِ مِنَ الدَّنَاءَةِ الَّتِي تُوذِنُ بِالبُعْدِ لِفَاعِلِهَا مِنْ حَضْرَةِ مَوْلاَهُ وَانْفِصَالِهِ، وَالضَّادُ تُشِيرُ إِلَى

ضَادِ ضِيَاءِ فَجْرِهِ السَّاطِعِ، وَضَمِيرِهِ الَّذِي انْعَقَدَ عَلَى مَا يُرْضِي اللهَ مِمَّا يُبَوِّئُهُ فِي دَارِ الكَرَامَةِ أَعْلَى الفِرْدَوْسِ وَالتَّنَزُّهِ فِي ظِلَالِهِ، وَالعَيْنُ تُشِيرُ إِلَى عَيْنِ عِنَايَتِهِ وَعِزِّهِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ شَأْوَهُ وَلَوْ أَنْفَقَ سَوَادَ مُقْلَتَيْهِ وَأَعَزَّ مَالِهِ، وَالغَيْنُ تُشِيرُ إِلَى غَيْنِ غِنَاهُ بِاللهِ وَاسْتِغْنَائِهِ بِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ وَغَيْبَتِهِ فِي شُهُودِ كَمَالِهِ، وَالفَاءُ تُشِيرُ إِلَى فَاءِ فَتْحِهِ الرَّبَّانِي وَفَضْلِهِ المَمْنُوحِ لِجَمِيعِ الخَلَائِقِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ رُوحُهُ بِيَدِهِ (125) لَجَادَ بِهَا فِي اللهِ عَلَى عُفَاتِهِ وَسُؤَّالِهِ، وَالقَافُ تُشِيرُ إِلَى قَافِ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وَقُرُبَاتِهِ إِلَيْهِ وَقُنُوتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بِتَضَرُّعِهِ وَابْتِهَالِهِ، وَالشِّينُ تُشِيرُ إِلَى شِينِ شِفَائِهِ لِعِلَلِ القُلُوبِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَشَفَاعَتِهِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَشَرَفِهِ البَاذِخِ الَّذِي كَمُلَ بِهِ شَرَفُ العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَخُصُوصًا شَرَفَ ذُرِّيَتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَءَالِهِ، وَالسِّينُ تُشِيرُ إِلَى سِينِ سِرِّهِ المَوْلَوِيِّ وَسَنَا نُورِهِ المُصْطَفَوِيِّ الَّذِي خَجِلَتِ الشُّمُوسُ وَالأَقْمَارُ وَسَائِرُ الكَوَاكِبِ مِنْ ضَوْءِ هِلَالِهِ، وَالهَاءُ تُشِيرُ إِلَى هَاءِ هَدْيِهِ القَوِيمِ، وَهِمَّتِهِ العَالِيَةِ وَهَيْبَتِهِ المَحْفُوفَةِ بِالتَّعْظِيمِ لِمَوْلَاهُ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَيْهِ وَإِقْبَالِهِ، وَالوَاوُ تُشِيرُ إِلَى وَاوِ وِلَايَتِهِ العَامَّةِ لِجَمِيعِ المُومِنِينَ وَوِدَادِهِ المَلْحُوظِ بِعِنَايَةِ مَوْلَاهُ وَسِرِّ بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ (126) وَلَامُ الأَلِفِ تُشِيرُ إِلَى لَامِ لَا يَصِلُ أَحَدٌ مَرْتَبَتَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالأَرْسَالِ وَلَا يُزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي مَزَايَاهُ الشَّرِيفَةِ وَمَحَاسِنِهِ الجَلِيلَةِ وَخِصَالِهِ، وَالهَمْزَةُ تُشِيرُ إِلَى هَمْزَةِ أَسْرَارِهِ النَّبَوِيَّةِ وَأَنْوَارِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ وَأَحْكَامِهِ المُتَصَرِّفَةِ فِي طَاعَةِ أَمْرِ مَوْلَاهُ وَامْتِثَالِهِ، وَاليَاءُ تُشِيرُ إِلَى يَاءِ يُسْرِهِ وَيُمْنِهِ المَلْحُوظَيْنِ بِالخَيْرِ وَالعِزِّ وَالسَّعَادَةِ فِي سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ، وَسَيْرِهِ إِلَى اللهِ وَإِقَامَتِهِ فِي مَقَامَاتِ التَّرَقِّي وَانْتِقَالِهِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلَاةً تُفِيضُ بِهَا عَلَيْنَا سَوَابِغَ نِعَمِهِ وَجُودِهِ وَأَفْضَالِهِ، وَتَسْقِينَا بِهَا مِنْ شَرَابِ كَوْثَرِهِ المُحَمَّدِيِّ وَرَحِيقِ جِرْيَالِهِ، وَتُنْجِينَا بِهَا مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وَهَوْلِ المَوْقِفِ وَخِزْيِهِ وَوَبَالِهِ، وَتُعْطِينَا بِهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ نَعِيمِ الجِنَانِ وَتَحْشُرُنَا بِهَا مَعَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحِبَّائِهِ وَذُرِّيَتِهِ وَخَوَاصِّ (127) عِيَالِهِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

سَرَيَانُ سِرِّكَ فِي الوُجُودِ عُجَابُ ❖ وَعَلَيْهِ أَسْتَارُ النُّفُوسِ حِجَابُ

وَمُمَــــــزِّقٍ عَنْهُ سَتَائِرَ نَفْسِهِ ❖ يَلْقَى الجَمَـــالَ وَمَا عَلَيْهِ نِقَابُ
يَا صَاحِبَيْ سِجْنِ الغَرَامِ أَوَاحِدٌ ❖ خَيْرٌ أَمِ الآحَــادُ وَالأَرْبَـــابُ
حَتَّى مَتَى الإِبْطَاءُ عَنْ سُعْدَى وَقَدْ ❖ كَمُلَتْ لِعِزِّ جَمَالِــهَا الأَلْقَابُ
ضُرِبَتْ قِبَابُ المَكْرُمَاتِ بِسُوحِهَا ❖ بِيَدِ العُلَا وَامْتَــــدَّتِ الأَطْنَابُ
حَيْثُ السِّيَادَةُ وَالسَّعَادَةُ وَالـوَلَا ❖ قَدْ فُتِّحَتْ لِمُرِيدِهَا الأَبْـــوَابُ
وَمَوَاطِنٌ هِيَ جَنَّـــــةٍ قُدْسِيَّةٌ ❖ فِيهَا وَصَائِــــــفُ خُرَّدٌ أَتْرَابُ
وَلَطَــــــافَةٌ وَأَنَاقَةٌ وَخِلَافَةٌ ❖ وَمَحَاسِنٌ سَعِدَتْ بِهَا الأَحْبَابُ(128)
طَافَتْ عَلَى عُشَّاقِهَا بِيَدِ الهَوَى ❖ كَاسَاتُهَا وَأُدِيــرَتِ الأَكْوَابُ
مِنْ خَمْرَةٍ قُــــدْسِيَّةٍ غَيْبِيَّةٍ ❖ وَلَهَا صِفَـــاتُ الكَائِنَاتِ حُبَابُ
يُقْرِيكَ نُورُ سَنَائِهَا نَقْشَ الهَوَى ❖ فَتَرَى السِّوَى عَنْ وَجْهِهَا يَنْجَابُ
وَلَهَا لَوَاهِيتُ القُلُوبِ حَقَائِــقُ ❖ وَلَهَا نَوَاسِيتُ القُلُوبِ كِتَـــابُ
هِيَ الجَمَالُ وَهِنْدُهُ وَسُعَــــادُهُ ❖ سَلْمَى الغَرَامِ وَزَيْنَبُ وَرَبَــــابُ
وَتَــــرِيَّةٌ شَفْعِيَّةٌ نُورِيَّـــــةٌ ❖ غَسَقِيَّةٌ شَمْسِيَّــــــةٌ وَسَحَابُ
هَتَّاكَةٌ فَتَّاكَةٌ مَـــــلَاَّكَةٌ ❖ سُلْطَانُهَا لِعُقُــــولِنَا سَلَّابُ
مَخْلُـــــوقَةٌ أَثَرًا وَأَمَّا حُكْمُهَا ❖ فَهُوَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الأَسْبَـــابُ
إِنْ رُمْتَ تَنْشُرُ بَاطِنًا مِنْ أَمْرِهَا ❖ قَصُرَ الزَّمَانُ وَطَالَ عِنْدَهُ خِطَابُ

قُلْ إِنَّ هَيَاكِلَ أَسْمَائِهِ العَظِيمَةِ القَدْرِ الجَلِيلَةِ، السَّنِيَّةِ الفَخْرِ الجَمِيلَةِ، القُدُّوسِيَّةِ المَوْلَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِكُلِّ سِرٍّ كَفِيلَةٌ، وَبِكُلِّ خَيْرٍ حَفِيلَةٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ بِهَا مَوْلَاهُ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ، وَشَرَّفَهُ بِذِكْرِهَا فِي الأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ وَالكِتَابِ المُسْتَبِينِ، وَذَكَرَهُ بِبَعْضِهَا بِالتَّصْرِيحِ وَبَعْضِهَا بِالتَّلْوِيحِ وَالتَّضْمِينِ، وَهِيَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالبَرُّ وَالبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ، وَالتَّوَّابُ وَالخَبِيرُ وَالنَّاصِرُ (129) وَالسَّمِيعُ وَالبَصِيرُ وَالجَبَّارُ وَالحَكِيمُ، وَالحَقُّ وَالمُبِينُ وَالقَوِيُّ وَالرَّءُوفُ وَالرَّحِيمُ، وَالمَوْلَى وَالوَلِيُّ وَالمُومِنُ وَالمُهَيْمِنُ وَالقُدُّوسُ وَالعَلِيمُ وَالشَّكُورُ وَالشَّهِيدُ وَالهَادِي وَالحَمِيدُ وَالحَسِيبُ وَالحَفِيظُ وَالحَلِيمُ، وَالغَفُورُ وَالغَنِيُّ وَالمَتِينُ وَالمَكِينُ وَالوَكِيلُ وَالعَظِيمُ، وَهَذِهِ الأَسْمَاءُ كُلُّهَا مِمَّا شَرَّفَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ وَسَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ العَلِيَّةِ الحَسْنَاءِ، إِلَّا أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ وَارِدٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ صَرِيحًا بِلَفْظِ الاِسْمِ، وَمِنْهَا مَا لَيْسَ بِصَرِيحٍ ﴿طه﴾ وَ﴿يس﴾ وَلَكِنَّ تَأَوَّلَهُ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ،

وَمِنْهَا مَا أُخِذَ مِنْ صِفَاتِ الأَفْعَالِ، كَالمُبَشِّرِ وَالحَاشِرِ وَالمَاحِي وَالدَّاعِي، فَالمُبَشِّرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾،

وَالحَاشِرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾،

وَنَحْوِهِ، وَالمَاحِي مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾، (130)

وَالدَّاعِي مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾،

وَمِنْهَا أَيْضًا مَا وَرَدَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَفْظِ الاِسْمِ، وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِعْلُهُ فَقَطْ كَالمُومِنِ وَالعَالِمِ وَالغَفُورِ وَالعَزِيزِ انْتَهَى. وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا العَاقِبُ»، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ

وَقَدْ رُوِيَ عَلَى قَدَمِي بِتَخْفِيفِ اليَاءِ بِالإِفْرَادِ وَبِالتَّشْدِيدِ عَلَى التَّثْنِيَةِ انْتَهَى.

يَا رُوحَ قُدْسِ الحَقِّ يَا جَسَدَ الصَّفَا ❖ صَلَّى عَلَيْكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدْ
يَا أَوَّلًا يَا ءَاخِرًا يَا ظَاهِرًا ❖ يَا بَاطِنًا أَنَّي لِوَصْفِكَ مِنْ عَدَدْ
يَا عَاقِبًا يَا حَاشِرًا يَا مَاحِيًا ❖ يَا خَاتِمًا يَا فَاتِحًا بَابَ الرَّشَدْ
يَا بَاطِنَ المَلَكُوتِ وَالجَبَرُوتِ يَا ❖ عَيْنَ الصَّفَا يَا كَنْزَ أَسْرَارِ الصَّمَدْ
مَا بَيْنَ نَاسُوتٍ وَلَاهُوتٍ لَقَدْ ❖ أَبْدَيْتَ فَرْقًا أَيَّ فَرْقٍ يُعْتَمَدْ
يَا حِكْمَةَ النَّاسُوتِ عِنْدَ وُجُودِهِ ❖ يَا مَوْرِدَ اللَّاهُوتِ أَرْوَى مِنْ وَرَدْ (131)

يَـــا كُـــــلَّ كُلِّيَّاتِ جُزَءِيَّاتِ مَا ❖ بَرَأَ القَدِيرُ مِــــنَ العَوَالمِ لِلأَبَدْ
يَـــا مُبْتَدَا نَظَـــرِ الجَلِيلِ بِلاَ ابْتِدَا ❖ يَـــا مُنْتَهَـــى نَظَرِ الجَلِيلِ بِلاَ أَمَدْ
يَا مَصْعَدَ الأَرْوَاحِ إِذْ تَسْمُـــــوا إِلَى ❖ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى فَتَقَرَّبُ لِلأَحَـــدْ
يَا عَرْشَ سِرِّ الذَّاتِ كَنْزَ صِفَاتِـــهَا ❖ يَـــا غَايَةَ العَلْـــيَا لِمَنْ فِيهَا اجْتَهَدْ
يَـــا فَاتِـــحًا أَغْلاَقَ أَسْرَارِ الخَفَا ❖ يَـــا مُخْرِجَ البَابِ مِـــنْ ظُلْمِ الفَنَدْ
يَـــا فَاتِـــقًا رَتْقَ الغَوَامِضِ لِلنُّهَى ❖ حَتَّى تَحَقَّقَـــتِ السَّلِيمَ المُعْتَقَـــدْ
أَنْتَ الَّذِي قَالَ العَـــــزِيزُ لِعِـــزِّهِ ❖ اِصْعَدْ إِلَى عَرْشِ اعْتِــــزَازِ المُسْتَنِدْ
أَنْتَ الَّذِي قَـــــالَ العَظِيمُ لِجَاهِهِ ❖ أَنْتَ العَظِيمُ لَدَيَّ قَوْلُـــكَ لاَ يُرَدْ
أَنْتَ الَّذِي قَالَ الجَوَادُ لِجُـــــودِهِ ❖ لَوْ جُدْتَ طُولَ الدَّهْرِ جُودُكَ مَا نَفِدْ
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ جَـــــلَّ جَلاَلُهُ ❖ وَالآلِ وَالصُّحْبِ الَّذِينَ هُـــمُ السَّنَدْ

أَوْ تَقُولَ إِنَّ هَذِهِ الأَرْوَاحُ العُلْوِيَّةُ وَالسُّفْلِيَّةُ، النُّورَانِيَّةُ وَالرُّوحَانِيَّةُ، الَّتِي اقْتَضَتِ الحِكْمَةُ الإِلاَهِيَّةُ، وَالقُدْرَةُ الأَزَلِيَّةُ، أَنْ تَكُونَ أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً، وَأَطْوَارًا مُخْتَلِفَةً وَمُوَافَقَةً مُطْلَقَةً فِي فَضَاءِ الإِرَادَةِ غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ، وَأَشْكَالاً مُجْبُولَةً عَلَى الحُبِّ الأَحْمَدِيِّ سَالِمَةً (132) مِنْ دَقَائِقِ العِلَلِ مُجَرَّدَةً، وَأَشْخَاصًا نُورَانِيَّةً سَرَى سِرُّهُ الأَحْمَدِيُّ فِي جُزْءِيَاتِهَا وَكُلِّيَّاتِهَا فَصَارَتْ بِنُورِ الحَقِّ إِلَى مَعَالِمِ الرُّشْدِ وَالهِدَايَةِ مُوَفَّقَةً مُؤَيَّدَةً، كَانَتْ مَحْبُوسَةً فِي سِرِّ كَلِمَةِ كُنْ فَيَكُونُ، وَمَحْرُوسَةً بِعَيْنِ العِنَايَةِ فِي غَيْبِ الغَيْبِ وَصِوَانِ العِلْمِ اللَّدُنِيِّ المَخْزُونِ، حَتَّى أَشْرَقَ نُورُهُ البَاهِرُ، فَظَهَرَتْ بِظُهُورِهِ فِي مَظَاهِرِ الأَشْيَاءِ، وَلَمَعَ فِي غُرَّةِ وَجْهِ أَبِيهِ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ صَاحِبِ المَنْزِلَةِ الشَّامِخَةِ وَالدَّرَجَةِ العُلْيَا، وَتَأَخَّرَ جَسَدُهُ المُنَوَّرُ حَتَّى ظَهَرَ خَاتِمَةً لِلأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي ءَاخِرِ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ المُحَمَّدِيُّ يَمُدُّ الجَمِيعَ بِإِمْدَادَاتِهِ المُصْطَفَوِيَّةِ، وَأَسْرَارِهِ الكَامِلَةِ النَّبَوِيَّةِ، حَتَّى كَمُلَتْ أَحْوَالُهُمْ بِكَمَالِ شَرِيعَتِهِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَنَمَتْ أَسْرَارُهُمْ (133) بِشَوَارِقِ أَنْوَارِهِ الأَحْمَدِيَةِ، فَكَانَ نُورُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الأَوَّلُ فِي الأَوَّلِيَّاتِ، وَظُهُورُهُ الآخِرُ فِي الآخِرِيَّاتِ، وَكِتَابُهُ الجَامِعُ لِمَعَانِي العَقْلِيَّاتِ وَالنَّقْلِيَّاتِ، وَعَرُوسُهُ الرَّاقِي فِي مَظَاهِرِ الجَلاَلِيَاتِ وَالجَمَالِيَّاتِ، فَهُوَ الإِمَامُ المُصَدَّرُ فِي مَعَارِجِ التَّرْقِيَاتِ وَالتَّدَلِّيَاتِ، وَالنَّبِيُّ المَبْعُوثُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، قُطْبُ فَلَكِ مَطَالِعِ أَسْرَارِ الغُيُوبِ، وَنُورُ بَصِيرَةِ أَرْبَابِ القُلُوبِ، وَرَيْحَانَةُ مَشَامِّ السَّالِكِ وَالمَجْذُوبِ، وَعُنْوَانُ ظَهِيرِ الحَبِيبِ وَالمَحْبُوبِ،

وَخزَانَةُ العِلْم اللَّدُنِيِّ وَالسِّرِّ المَطْلُوب، وَمُدَام كُئُوس الأَرْوَاح الرُّوحَانِيَّة الصَّافِي العُقَار وَالمَشْرُوب، المُمدُّ لِنُقْطَةِ أَرْبَابِ الفُتُوحَاتِ فِي مَجَالِس الرِّيَاضَةِ وَالتَّعْلِيم، وَالمُوَصِّل بِوَاسِطَةِ رُوحَانِيَّتِه (134) إِلَى مَقَامَاتِ التَّفْوِيض وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيم، فَمَرْجِعُ الكُلِّ فِي سَائِرِ أُمُورِهِمْ إِلَيْه، وَاعْتِمَادُ مَنْ تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ مِنْهُمْ عَلَيْه، فَتَبَيَّنَ مِن هَذَا أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ ظَهَرَ فِي الوُجُودِ أَوْ سَيَظْهَرُ فَمِنْ بَرَكَاتِه، وَكُلَّ نِعْمَةٍ قَلَّتْ أَوْ جَلَّتْ فَمِنْ مَوَاهِب فَضْلِهِ وَعَوَاطِف رَحَمَاتِه، فَلاَ أَحَدٌ يُوَازِيه فِي عُلُوِّ المَكَانَةِ وَالمَنْزِلَةِ الجَلِيلَة، أَوْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْه فِي إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ وَقَبُولِ الوَسِيلَة، فَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَظَاهِرُ شَرَفِهِ وَتَفْضِيلِه، وَسَائِرُ الأَوْلِيَاءِ وَالأَصْفِيَاءِ وَالخُلَفَاءِ مَوَاقِعُ نُجُوم وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِه، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَهُوَ سَابِحٌ فِي بَحْرِ نُورِهِ الأَعْظَم، وَمُمْتَدٌّ مِنْ فَيْضِ نَوَالِهِ الأَفْعَم، عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ مِنْهُ وَقُرْبِه، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنَ الاِسْتِغْرَاقِ فِي وِدَادِهِ وَحُبِّه، فَعَلَى هَذَا لاَ تُرَى عَلَى التَّحْقِيق (135) كَرَامَةٌ ظَهَرَتْ لِوَلِيٍّ إِلاَّ عَلَى يَدَيْه، وَلاَ مُعْجِزَةٌ صَدَرَتْ لِنَبِيٍّ إِلاَّ مِنْهُ وَإِلَيْه، وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ، وَأَجَادَ فَأَحْسَنَ المَقَال:

وَكُلُّ مَا ءَاتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا ❖ فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِم
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ❖ يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَم
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فِي الأُفْقِ عَمَّ هُدَاهَا ❖ العَالَمِينَ وَأَحْيَتْ سَائِرَ الأُمَم

قَالَ مُؤَلِّفُهُ أَكْرَمَهُ اللهُ بِمَحَبَّةِ حَبِيبِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعَانَهُ عَلَى خِدْمَتِه وَجَعَلَهُ مِنَ المُنَوِّهِينَ بِقَدْرِهِ العَلِيِّ وَشَرَفِ نِسْبَتِه، المُقْتَدِين بِسِيرَتِه النَّبَوِيَّةِ العَاضِّينَ (136) بِالنَّوَاجِذِ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِه، وَنَفَعَهُ فِي الدَّارَيْنِ بِمَا رَسَمَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ عُلُومِ أَوْصَافِهِ النَّبَوِيَّةِ وَأَسْرَارِ حِكْمَتِه:لَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الكَلاَمِ عَلَى الأَرْوَاحِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ قُدُومَهُ فِي المَقَامِ الأَسْنَى، وَتَطْلُبُ رُؤْيَتَهُ فِي المَنَاظِرِ المُقَدَّسَةِ وَالمَشَاهِدِ الحُسْنَاء، أَرْدَفْتُ ذَلِكَ بِالكَلاَمِ عَلَى الطِّينَةِ المُشَرَّفَةِ التَّرْكِيبِ وَالمَبْنَى، وَهِيَ طِينَةُ أَبِيهِ ءَادَمَ صَاحِبِ الأَخْلاَقِ الجَمِيلَةِ وَالأَوْصَافِ الحُسْنَى، (137) وَعَلَى مُخَاطَبَةِ اللَّعِينِ حِينَ أَمَرَهُ اللهُ بِالسُّجُودِ لَهُ فَامْتَنَعَ عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا، وَتَقْوِيَةً لِظُهُورِ عُذْرِهِ وَانْتِصَارًا، وَطَلَبًا لِفُسْحَةِ أَجَلِهِ فِي الظُّلْمِ وَالغِوَايَةِ وَانْتِظَارًا، وَرِضًا بِانْسِحَابِ اللَّعْنَةِ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ دَوَامًا وَاسْتِمْرَارًا، وَلَوْ رَأَى المَلْعُونُ مَا رَأَتْهُ

المَلائِكَةُ الكِرَامُ، مِنْ نُورِهِ العَزِيزِ فِي غُرَّةِ وَجْهِ أَبِيهِ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَا قَالَ:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، الآيَةُ

وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الإِشَارَةِ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الطِّينَةَ الَّتِي كَانَ اللَّعِينُ يَسْتَعْظِمُ أَمْرَهَا، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَّقْدِرَ قَدْرَهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ نُورَهَا، وَيُخْفِيَ فَخْرَهَا، هِيَ الطِّينَةُ المُشَرَّفَةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا ءَادَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَرُكِّبَتْ مِنْهَا أَعْضَاؤُهُ الكَرِيمَةُ وَكُسِيَتْ بِمَزَايَاهُ العِظَامُ وَقَدْ كَانَ يَعْجَبُ مِمَّا يَئُولُ إِلَيْهِ حَالُهَا وَمَئَالُهَا، وَمَا يُنْتِجُهُ تُرَابُهَا وَصَلْصَالُهَا، وَمَا يُعَظَّمُ بِهِ رَسْمُهَا وَخَيَالُهَا، وَيُخْفِي ذَلِكَ عَنْ أَهْلِهِ وَأَوْلاَدِهِ، وَأَصْحَابِهِ المُعِينِينَ لَهُ عَلَى ظُلْمِهِ وَفَسَادِهِ، وَيُغَطِّي ذَلِكَ بِثَوْبِ جَهْلِهِ وَعِنَادِهِ، وَيَمْحُو مَا سُطِّرَ مِنْ أَمْرِهَا (138) فِي لَوْحِ القَضَاءِ بِتُرَّهَاتِهِ المُؤْذِنَةِ بِطَرْدِهِ مِنَ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ وَإِبْعَادِهِ، وَيُنَازِعُ مَا جَرَى بِهِ قَلَمُ الإِرَادَةِ فِي الكِتَابِ المَسْطُورِ بِتَخْمِينِهِ وَحَدَسِيَّاتِهِ وَقِيَاسَاتِهِ الفَاسِدَةِ، وَتَرَاكِيبِ سَفْسَطَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي سُوقِ أَهْلِ التَّوْفِيقِ بَائِرَةٌ كَاسِدَةٌ، فَتَبًّا لَهُ وَسُحْقًا، مَا أَحْمَقَهُ وَمَحْوًا لِطَائِفَتِهِ وَمَحْقًا، مَا أَسْرَعَهُ لِلْجَوَابِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَنْطَقَهُ، وَمَا أَغْفَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،

وَنُسْخَةً مِنْ كِتَابِ أَسْرَارِي اللَّطِيفَةِ، وَجَوْهَرَةً مِنْ جَوَاهِرِ عُلُومِ غَيْبِي المُنِيفَةِ، وَلِذَا كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ نُسْخَةً مِنْ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَمُحَمَّدٍ عَلَى الكَمَالِ، وَالعَارِفُونَ وَالوَارِثُونَ نُسْخَةً مِنْ ءَادَمَ وَبَاطِنِ مُحَمَّدٍ عَلَى أَتْقَنِ مِثَالٍ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللهُ خَلِيفَةً فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَأَيَّدَهُ بِعُلُومِ وَحْيِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ بِالسُّجُودِ لِطِينَتِهِ المَمْزُوجَةِ بِشَوَارِقِ الأَنْوَارِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَمَوَاهِبِ الأَسْرَارِ الأَحْمَدِيَّةِ، المُنَادَى عَلَيْهَا بِلِسَانِ الأَحْمَدِيَّةِ،

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،

وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَعْرِفُوا اللهَ حَقَّ المَعْرِفَةِ، وَعَجَزُوا عَنْ إِدْرَاكِ الحَقِيقَةِ وَانْصَرَفُوا عَنْ بَابِ الرُّبُوبِيَّةِ، مِنْ هُجُومِ إِجْلاَلِ سَطَوَاتِ (139) العِزَّةِ عَلَيْهِمْ، أَحَالَهُمُ الحَقُّ جَلَّ وَعَلاَ إِلَى ادَمَ بِاقْتِبَاسِ العِلْمِ وَالأَدَبِ فِي الخِدْمَةِ حَتَّى يُوصِلَهُمْ بِعِلْمِ الصِّفَاتِ إِلَى

مَا لَمْ يَنَالُوهُ بِالعِبَادَاتِ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا الحَقَّ تَعَالَى بِالجَهْلِ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَهُوَ عَرَفَ اللّه تَعَالَى بِحَقِيقَةِ العِلْمِ الَّذِي عَلِمَهُ مِنَ العُلُومِ اللَّدُنِيَّاتِ، وَأَيْضًا كَمَا أَرَادَ المَلَائِكَةَ أَنْ يَرَوْهُ بِعِلْمِ الحَقِّ لِضُعْفِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، جَعَلَ ءَادَمَ خَلِيفَةً لَهُمْ حَتَّى يَرَوْهُ بِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَصَوَّرَهُ بِصُورَتِهِ وَوَضَعَ فِيهِ مِرْءَاةَ رُوحِهِ إِذَا نَظَرُوا فِيهَا تَجَلَّى لَهُمُ الحَقُّ تَعَالَى شُهُودًا، وَأَيْضًا لِأَنَّ اللّه تَعَالَى سَمَّى ءَادَمَ خَلِيفَةً فِي بَدْءِ الخِطَابِ وَالخَلِيفَةُ لَا يَحِيفُ وَلَا يَجُورُ فَجَهِلُوا مِنْ وَصَفَهُ اللّه بِخِلَافَتِهِ، وَأَعْلَمُهُ بِخَصَائِصِ مَحَبَّتِهِ، وَمَدَحَهُ بِالخِلَافَةِ، وَعَيَّرُوهُ بِالفِسْقِ وَالجَهَالَةِ وَسُوءِ الأَدَبِ، فَكَشَفَ اللّه نِقَابَ القُدْسِ عَنْ وَجْهِ ءَادَمَ وَنَوَّرَ بِوَجْهِهِ العَالَمَ فَخَجِلُوا مِنْ دَعْوَاهُمْ وَاعْتَرَفُوا بِجَهْلِهِمْ،

«فَقَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ»،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:عَيَّرُوا ءَادَمَ وَاسْتَصْغَرُوهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا خَصَائِصَ الصُّنْعِ بِهِ فَأَظْهَرَ الحَقُّ عَلَيْهِ صِفَةَ القِدَمِ (140) فَصَارَ الخُضُوعُ لَهُ قُرْبَةً مِنَ الحَقِّ وَالاِسْتِكْبَارُ عَلَيْهِ بُعْدًا مِنْهُ، وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ المَغْرِبِي: مَا بَلَاءُ الخَلْقِ إِلَّا بِالدَّعَاوِي، أَلَا تَرَى أَنَّ المَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ كَيْفَ رُدُّوا إِلَى الجَهْلِ حَتَّى قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا، وَقِيلَ: إِنَّ الحَقَّ لَمَّا أَلْبَسَ ءَادَمَ لِبَاسَ العُبُودِيَّةِ أُعْجِبُوا بِعِبَادَتِهِمْ، فَأَلْبَسَهُ لِبَاسَ الرُّبُوبِيَّةِ وَرَقَمَ عَلَيْهِ طِرَازَ صِفَاتِهِ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِمْ فَرَأَوْهُ مُلْتَبِسًا بِلِبَاسِ الحَقِّ فَخَجِلُوا مِنْ تَعَجُّبِهِمْ فَأَمَرَهُمُ الحَقُّ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْبِيرًا لَهُمْ وَتَعْلِيمًا أَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَا تَزِيدُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا تَنْقُصُ مِنَ الأُلُوهِيَّةِ، وَقِيلَ: لَمَّا خَلَقَهُ اللّه بِخُلُقِهِ وَصَوَّرَهُ بِصُورَتِهِ وَأَلْبَسَهُ أَنْوَارَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ المَلَائِكَةَ تَكْمِيلاً لِلْعُبُودِيَّةِ بِصِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَلَمَّا سَجَدُوا لَهُ أَبَى إِبْلِيسُ مِنَ السُّجُودِ، لِأَنَّ المَلَائِكَةَ رَأَوْا فِيهِ سِرَّ اللّه وَعَلَيْهِ لِبَاسُ اللّه مَصْبُوغًا بِصِبْغِ اللّه وَلَمْ يَرَ إِبْلِيسُ مَا كُشِفَ لَهُمْ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ مِنْ غَضَبِ اللّه عَلَيْهِ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ وَفِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنَ المَطْرُودِينَ، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: لَمَّا اسْتَعْظَمُوا تَسْبِيحَهُمْ وَتَقْدِيسَهُمْ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِغَيْرِهِ لِيُرِيَهُمْ بِهِ اسْتِغْنَاءَهُ عَنْهُمْ وَعَنْ عِبَادَتِهِمْ انْتَهَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (141) أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الطِّينَةَ السَّنِيَّةَ البَهِيَّةَ، المُبَارَكَةَ الطَّاهِرَةَ النَّقِيَّةَ، الَّتِي أَبْرَزَتْهَا يَدُ القُدْرَةِ الأَزَلِيَّةِ

مِنْ مَعَادِنِ القُرْبِ وَالمَحْبُوبِيَّةِ، وَمَوَاطِنِ الرَّغَبُوتِيَّةِ وَالرَّهَبُوتِيَّةِ، وَهِيَ طِينَةُ تَاجِ الأَنْبِيَاءِ، وَدُرَّةُ الأَصْفِيَاءِ، أَبِينَا ءَادُمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الخَلِيفَةِ الآدَمِيَّةِ، وَرُوحِ العَوَالِمِ البَشَرِيَّةِ، وَخَلِيفَةِ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ الطَّيِّبِ المَنْبَتِ وَالذُّرِّيَّةِ، الَّذِي لَمَّا نَزَلَ مِنَ الجَنَّةِ المُزَخْرَفَةِ بِالأَنْوَارِ وَالشَّوَارِقِ السَّنِيَّةِ، وَالغُرَفِ وَالقُصُورِ وَالحُورِ وَالوِلْدَانِ وَالفَوَاكِهِ الحُلْوَةِ الشَّهِيَّةِ، وَأَنْهَارِ المِيَاهِ العَذْبَةِ، وَالأَشْجَارِ المُثْمِرَةِ وَالأَزَاهِرِ وَالقَطَائِفِ العَنْبَرِيَّةِ السُّنْدُسِيَّةِ، نَزَلَ بِأَرْبَعِ وَرَقَاتٍ مِنَ التِّينِ كَانَ سَتَرَ بِهَا عَوْرَتَهُ لِيَلَّا تَرْمُقَهُ أَبْصَارُ الحَسَدَةِ الإِبْلِيسِيَّةِ فَلَمَّا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ جَاءَهُ كُلُّ حَيَوَانٍ فِي الأَرْضِ يُهَنُّونَهُ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ السَّعِيدَةِ المَرْضِيَّةِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِذَاتِهِ المُنَوَّرَةِ بِأَنْوَارِ اللَّاهُوتِيَّةِ، وَأَسْرَارِ المَلَكُوتِيَّةِ، فَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَهُنَّ: الغَزَالُ وَبَقَرُ البَحْرِ وَالنَّحْلُ وَالدُّودُ، فَأَطْعَمَ مِنْ تِلْكَ وَرَقَةً لِلْغَزَالِ، فَصَارَ مِنْهَا (142) المِسْكُ المُتَضَوِّعُ بِالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ الزَّكِيَّةِ، وَأَطْعَمَ وَرَقَةً لِبَقَرِ البَحْرِ، فَصَارَ مِنْهُ العَنْبَرُ المُزْرِي رِيحُهُ بِنَشْرِ الغَوَالِي وَالرَّوَائِحِ القُرُنْفُلِيَّةِ وَالنِّسْرِينِيَّةِ وَالوَرْدِيَّةِ، وَأَطْعَمَ وَرَقَةً لِلنَّحْلِ فَصَارَ مِنْهَا العَسَلُ الشَّافِي مِنَ العِلَلِ المُزْمِنَةِ وَالأَمْرَاضِ الخَفِيَّةِ القَلْبِيَّةِ، وَأَطْعَمَ وَرَقَةً لِلدُّودِ فَصَارَ مِنْهَا الحَرِيرُ الغَالِي السَّوْمِ فِي سَائِرِ الأَقَالِيمِ المَشْرِقِيَّةِ وَالمَغْرِبِيَّةِ وَالأَقْطَارِ اليَمَانِيَّةِ وَالسِّنْدِيَّةِ وَالهِنْدِيَّةِ، فَسُبْحَانَ مَنْ شَرَّفَ هَذِهِ الطِّينَةَ الآدَمِيَّةَ، المُبَارَكَةَ السَّعِيدَةَ الزَّكِيَّةَ، وَرَفَعَ قَدْرَهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ العَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالجُثْمَانِيَّةِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، وَأَسْجَدَ لَهَا المَلَائِكَةَ تَعْظِيمًا لِمَا رُكِّبَ فِيهَا مِنْ صُوَرِ حُرُوفِ اسْمِ حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ البَرِيَّةِ، وَجَمَعَ فِيهَا مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الاصْطِفَائِيَّةِ وَالاجْتِبَائِيَّةِ وَالأَسْرَارِ المُصْطَفَوِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَالَ فِيهَا فِي مُحْكَمِ الكِتَابِ الكَرِيمِ:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ (143) وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا».

فَكَرَامَتُهُ تَعَالَى لَهُ سَابِقَةٌ عَلَى كَوْنِ الخَلْقِ جَمِيعًا لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ، أَوْجَدَ الخَلْقَ بِرَحْمَتِهِ، وَخَلَقَ ءَادَمَ وَذُرِّيَّتَهُ بِكَرَامَتِهِ، فَالخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي حَيِّزِ الرَّحْمَةِ، وَءَادَمُ وَذُرِّيَّتُهُ فِي حَيِّزِ الكَرَامَةِ، فَالرَّحْمَةُ لِلْعُمُومِ، وَالكَرَامَةُ لِلْخُصُوصِ، خَلَقَ الكُلَّ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ، وَخَلَقَ ءَادَمَ وَذُرِّيَّتَهُ لِنَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾،

فَجعَلَ أدَمَ خَلِيفَتَهُ وَجعَلَ ذُرِّيَتَهُ خُلفَاءَ أَبِيهِمْ، فَالمَلائِكَةُ وَالجِنُّ وَالإنْسُ فِي خِدْمَتِهِمْ، وَالنَّهْيُ وَالأَمْرُ وَالخِطَابُ مَعَهُمْ، وَالكُتُبُ أُنْزِلَتْ إلَيْهِمْ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاوَاتِ وَالأَرَضُونَ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَجَمِيعُ الآيَاتِ خُلِقْنَ لَهُمْ وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ طَفِيلُ لَهُمْ، أَلا تَرَى أنَّهُ يَقُولُ لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْلاكَ مَا خَلَقْتُ الكَوْنَ، وَلَهُمْ كَرَامَةُ الظَّاهِرِ وَهِيَ تَسْوِيَةُ خُلُقِهِمْ، وَظَرَافَةُ صُورَتِهِمْ وَحُسْنُ فِطْرَتِهِمْ، وَجَمَالُ وُجُوهِهِمْ حَيْثُ خَلَقَ فِيهِمُ الأَسْمَاعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَلْسِنَةَ، وَاسْتِوَاءَ القَامَةِ، وَحُسْنَ المَشْيِ وَالبَطْشِ، وَإِسْمَاعَ الكَلامِ، وَالتَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ وَالنَّظَرَ (144) بِالبَصَرِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ مِيرَاثُ فِطْرَةِ ءَادَمَ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ حُسْنِ اصْطِنَاعِ صِفَةِ الَّذِي خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، فَنُورُ وُجُوهِهِمْ مِنْ مَعَادِنِ نُورِ الصِّفَاتِ، وَأَنْوَارُ الصِّفَاتِ أَنْوَارَ ءَادَمَ وَذُرِّيَتِهِ، فَيَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ الصِّفَاتِ وَالهَيْئَاتِ وَالحُسْنِ وَالجَمَالِ مُتَّصِفِينَ مُتَخَلِّقِينَ بِالصِّفَاتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ:

«خَلَقَ اللّٰهُ ءَادَمَ عَلَى صُورَتِهِ»

مِنْ حَيْثُ التَّخَلُّقِ لا مِنْ حَيْثُ التَّشَبُّهُ، وَلَهُمْ كَرَامَةُ البَاطِنِ وَهِيَ العَقْلُ وَالقَلْبُ وَالرُّوحُ وَالنَّفْسُ وَالسِّرُّ وَفِي هَذِهِ الجُنُودِ خَزَائِنُ رُبُوبِيَتِهِ، فَالنَّفْسُ مَعَ جُنُودِ قَهْرِهِ، وَالعَقْلُ مَعَ جُنُودِ لُطْفِهِ، وَالقَلْبُ مَعَ جُنُودِ تَجَلِّي صِفَاتِهِ، وَالرُّوحُ مَعَ جُنُودِ تَجَلِّي ذَاتِهِ، وَالسِّرُّ مُسْتَغْرَقٌ فِي عُلُومِ أَسْرَارِهِ، وَالكُلُّ مُكَرَمٌ بِكُشُوفِ الصِّفَاتِ لِمَنْ لَهُ اسْتِعْدَادُ رُؤْيَةِ الصِّفَاتِ، وَمَنْ لَهُ اسْتِعْدَادُ رُؤْيَةِ الذَّاتِ فَهُوَ فِي مُشَاهَدَةِ الذَّاتِ، فَبِكَرَامَاتِهِ عَرَّفَ العُقُولَ ءَايَاتِهِ، وَعَرَّفَ النُّفُوسَ عُبُودِيَّتَهُ، وَعَرَّفَ القُلُوبَ صِفَاتَهُ، وَعَرَّفَ الأَرْوَاحَ جَلالَ ذَاتِهِ، وَعَرَّفَ الأَسْرَارَ عُلُومَ أَسْرَارِهِ، فَأَعْطَى العَارِفِينَ مِنْ سَمْعِهِ أَسْمَاعًا، وَمِنْ بَصَرِهِ إِبْصَارًا، وَمِنْ كَلامِهِ خِطَابًا، وَمِنْ عِلْمِهِ (145) قُلُوبًا وَمِنْ سِرِّهِ أَسْرَارًا، وَبِأَنْوَارِ صِفَاتِهِ أَرْوَاحًا، وَمِنْ أَنْوَارِ أَفْعَالِهِ عُقُولاً، فَخَلَقَهُمْ بِخَلْقِهِ وَوَصَفَهُمْ بِوَصْفِهِ فَمِنْ حَيْثُ الاتِّصَافِ مُتَّصِفُونَ، وَمِنْ حَيْثُ الاتِّحَادِ مُتَّحِدُونَ وَمِنْ حَيْثُ العُبُودِيَّةِ فَهُمْ فِي الرُّبُوبِيَّةِ يَطِيرُونَ بِأَجْنِحَةِ الأَزَلِيَّةِ فِي ظِلالِ حَيْزُومِ القِدَمِ مَعَ الحَقِّ إِلَى أَبَدِ الأَبَدِ، فَأَيُّ كَرَامَةٍ أَشْرَفُ مِمَّا ذُكِرَتْ

بِهِ يَا كَرِيمُ ابْنُ الكَرِيم يَا ءَادَمُ ابْنُ ءَادَمَ العَارِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ مِنْ مَجَالِسِ سُرَادِقِ مَجْدِ الكِبْرِيَاءِ، وَيفْرَحُونَ بِكَ فِي عَالَمِ البَقَاءِ طَيَّبَ اللهُ وَقْتَكَ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ وَأَيْنَ مَأْوَاكَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْرِفُونَكَ الكُلُّ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَسْقَطَ العِلَلَ وَالأَسْبَابَ مِنْ مَوْضِعِ تَفْضِيلِكَ مِنْ حَيْثُ كَرَّمَكَ قَبْلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ السَّابِقَةِ لَكَ، وَبَيَّنَ عَاقِبَةَ كَرَامَتِهِ بِأَنَّهُ بِعِزِّهِ وَجَلاَلِهِ حَمَلَهُمْ فِي الصِّفَاتِ بِمَرَاكِبِ عِنَايَتِهِ، وَفِي بَحْرِ الذَّاتِ بِسُفُنِ مَحَبَّتِهِ وَكِفَايَتِهِ فَقَالَ:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ﴾، الآيَةُ

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: فِي هَذِهِ الآيَةِ ابْتَدَأَهُمْ بِالبِرِّ قَبْلَ الطَّاعَاتِ وَبِالإِجَابَةِ قَبْلَ الدُّعَاءِ، وَبِالعَطَاءِ قَبْلَ السُّؤَالِ وَكَفَاهُمُ الكُلَّ مِنْ حَوَائِجِهِمْ لِيَكُونُوا لِمَنْ لَهُ الكُلُّ وَبِيَدِهِ كِفَايَةُ الكُلِّ، أَوْ تَقُولُ لأَنَّ هَذِهِ الطِّينَةَ الآدَمِيَّةَ لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَهَا (146) أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ تَقْبِضَ مِنَ الأَرْضِ قَبْضَةً لِيَخْلُقَ مِنْهَا ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَقْبِضَ مِنْهَا إِلاَّ عَزْرَائِيلَ، لأَنَّهَا لَمَّا نَزَلَ إِلَيْهَا جِبْرِيلُ أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ بِاللهِ أَنْ يَتْرُكَهَا فَتَرَكَهَا وَمَضَى، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ اسْرَافِيلُ وَجَمِيعُ المَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَهَّمَ عَلَى قَسَمِهَا لِيَقْبِضَ مِنْهَا، فَلَمَّا نَزَلَ عَزْرَائِيلُ أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ فَاسْتَدْرَجَهَا فِي قَسَمِهَا وَقَبَضَ مِنْهَا مَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَقْبِضَهُ، وَتِلْكَ القَبْضَةُ هِيَ رُوحُ الأَرْضِ فَخَلَقَ اللهُ مِنْ رُوحِهَا جَسَدَ ءَادَمَ، فَلِهَذَا تَوَلَّى عَزْرَائِيلُ قَبْضَ الأَرْوَاحِ لِمَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنَ القُوَّةِ الكَمَالِيَّةِ المُتَجَلِّيَةِ فِي مَحَلِّ القَهْرِ وَالغَلَبَةِ، وَذَلِكَ لأَنَّ قُوَّةَ عَزْرَائِيلَ مِنْ مُحْتَلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ.

نُورٌ عَلَى المَلَكُوتِ فَوْقَ الأَطْلَسِ ❖	بِالوَهْمِ عُبِّرَ عَنْهُ بَيْنَ الأَنْفُسِ
هُوَ ءَايَةُ الرَّحْمَانِ أَغْنَى صُورَةً ❖	فِيهَا تَجَلَّى لِلْجَمَالِ الأَكْيَسِ
هُوَ قَهْرُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ حُكْمُهُ ❖	هُوَ ذَاتُهُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أَرِيسِ
هُوَ فِعْلُهُ هُوَ وَصْفُهُ هُوَ اسْمُهُ ❖	هُوَ مِنْهُ مُجَلَّى كُلِّ جِنْسٍ أَنْفَسِ
هُوَ نُقْطَةُ الخَالِ الَّذِي قَدْ عَبَّرُوا ❖	بِيَمِينِهِ عَنْهُ لِمَرْيَمَ يُحْبَسِ (147)
وَيُبَيِّنُهَا القَسَمُ الَّذِي هُوَ قِشْرُهُ ❖	سِتْرٌ عَلَى الحَوْرَاءِ مِثْلَ السُّنْدُسِ
فَاجْتَزْ وَلاَ تَحْتَلْ فَمَا هُنَا دَهْشَةُ ❖	لَكِنَّهَا مِثْلَ الظَّلاَمِ الحِنْدِسِ

وَذلِكَ لأَنَّ دَائِرَتَهُ المُحَمَّدِيَّةَ الأَحْمَدِيَّةَ، وَنُورَانِيَّتَهُ المُقَدَّسَةَ المُصْطَفَوِيَّةَ، وَسِعَتْ كُلَّ نَسَمَةٍ عَرْشِيَّةٍ قُدْسَانِيَّةٍ وَجَوْهَرَةٍ جَلِيلَةٍ فَرْدَانِيَّةٍ وَمَمْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ سُلْطَانِيَّةٍ، فَهُوَ عَيْنُ كُلِّ عَيْنٍ ظَهَرَتْ فِي العَوَالِمِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، وَزَيْنُ كُلِّ زَيْنٍ أَشْرَقَ نُورُهُ فِي المَظَاهِرِ الكُلِّيَّةِ وَالجُزْئِيَّةِ، فَبِنُورِهِ المُحَمَّدِيِّ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُمُ الحِسِّيَّةُ وَالمَعْنَوِيَّةُ، وَبِسِرِّهِ الأَحْمَدِيِّ أَيْنَعَتْ أَشْجَارُهُمُ القَبْلِيَّةِ وَالبَعْدِيَةِ، وَأَثْمَرَتْ أَغْصَانُهُمُ الفَرْعِيَّةُ وَالأَصْلِيَّةُ، وَمِنْ طِيبِهِ النَّبَوِيِّ فَاحَتْ أَزَاهِرُهُمْ فِي رِيَاضِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ وَسَائِرِ الحَضَارَاتِ القُدْسِيَّةِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ صَلاةً تُورِدُنَا بِهَا مِنْ زُلاَلِ مَوَارِدِهِ العَذْبَةِ الشَّهِيَّةِ، وَتُقَدِّسُ بِهَا أَرْوَاحَنَا فِي تُرْبَتِهِ المُطَهَّرَةِ النَّقِيَّةِ، بِفَضْلِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

إِنَّ رُوحَ النَّبِيِّ مَا قَطُّ غَابَتْ ❖ عَنْ نُفُوسٍ بِاللهِ فِي اللهِ طَابَتْ
عَرَفَتْهُ بِكُلِّ مَعْنًى غَرِيبٍ ❖ وَدَعَتْ رُوحُهُ إِلَيْهَا أَجَابَتْ (148)
مِنَّةٌ مِنْهُ وَهُوَ سِرُّ التَّجَلِّي ❖ عَرَفَتْهُ نَفْسٌ إِلَيْهِ تَصَابَتْ
يَا أَجَلَّ الأَنَامِ قَدْرًا وَمَجْدًا ❖ وَالَّذِي شَأْنَهُ الأَكَاسِرُ هَابَتْ
يَا عَزِيزًا وَ يَارَءُوفًا رَحِيمًا ❖ إِنَّ نَفْسِي إِلَيْهِ مِنِّي تَابَتْ
فَصَلاَةُ الصَّلاَةِ نَحْوَكَ بِالتَّسْلِيمِ تَسْعَى بِالغَيْبِ مِنْكَ اسْتَطَابَتْ
وَعَلَى ءَالِكَ الكِرَامِ وَصَحْبٍ ❖ لِنِدَاءِ الرَّحْمَانِ مِنْكَ اسْتَجَابَتْ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الجَوْهَرَةَ المُحَمَّدِيَّةَ، الجَلِيلَةَ المُبَارَكَةَ السَّعْدِيَّةَ، المَكِّيَّةَ المَدَنِيَّةَ النَّجْدِيَّةَ، المُشَارُ إِلَى تَفْضِيلِهَا تَصْرِيحًا وَتَلْوِيحًا بِلِسَانِ الوَاحِدِيَّةِ وَالأَحَدِيَّةِ، وَهِيَ مَحْتِدُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَاسْرَافِيلَ وَعَزْرَائِيلَ، وَجَمِيعِ المَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَالأَرْوَاحِ العُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ، قَدْ خَلَقَهَا اللهُ مِنْ نُورِ اسْمِهِ الهَادِي الرَّشِيدِ، وَتَجَلَّى لَهَا بِاسْمِهِ المُبْدِئِ المُعِيدِ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ البَاعِثِ الشَّهِيدِ، فَلَمَّا حَوَتْ أَسْرَارَ هَذِهِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى، وَظَهَرَتْ فِي مَظَاهِرِ العَالَمِ الرُّوحَانِي وَالجُثْمَانِي بِمَلاَبِسِهَا العَالِيَةِ الحَسْنَاءِ، وَاشْتَمَلَتْ عَلَى عُلُومِهَا الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَكَلِمَاتِهَا المُنَزَّلَةِ مِنْ حَظَائِرِ القُدْسِ وَبِسَاطِ العِزِّ الأَسْنَى، وَحُرُوفِهَا المُنَوَّرَةِ وَءَايَاتِهَا الرَّائِقَةِ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى، وَأَسْمَاءِ (149) مُسَمَّيَاتِهَا الَّتِي تَنْفَعِلُ لَهَا الأَشْيَاءُ وَتَخْضَعُ إِجْلاَلاً

لِهَيْبَتِهَا خُدَّامُ الحُجُبِ وَالسُّرادِقَاتِ وَأَهْلُ مَقَامِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، سَرَى سِرُّ الحَقِّ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ مِنْهَا وَلَفْظَةٍ جَلِيلَةٍ سَنِيَّةٍ حَسْنَاءَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ رَحْمَانِيَّتِهِ وَمَوَاهِبِ رَبَّانِيَّتِهِ، فَتَكَوَّنَتْ مِنْهَا أَرْوَاحُ المَلَائِكَةِ القِدِّيسِيِّينَ وَالمُهَيَّمِينَ وَسُكَّانُ السَّمَاوَاتِ العُلَى وَالأَرَضِينَ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَوَكَّلَهُمْ بِحِفْظِ وَدَائِعِهَا وَأَحْكَامِ شَرَائِعِهَا وَمِنْهَاجِ طَرِيقَتِهَا المُثْلَى، لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِذَلِكَ وَأَوْلَى، وَجَعَلَهَا مِرْءَاةَ نَفْسِهِ، وَمَجْلَى أَسْرَارِ قُدْسِهِ، وَمِحْرَابَ أَرْوَاحِ جِنِّهِ وَإِنْسِهِ، وَإِمَامَ مَقَاصِيرِ قُرْبِهِ وَأُنْسِهِ، وَطَوَى لَهُ فِيمَا يُوحِي إِلَيْهِ سِرًّا خَاصًّا وَعِلْمًا نَافِعًا وَحِكْمَةً تَامَّةً وَجَعَلَ كِتَابَهُ الحَكِيمَ يُكَرَّرُ ذِكْرُهُ بِمَدْحِهَا عَلَى الأَلْسِنَةِ وَيُتْلَى، وَلَيْسَ أَحَدٌ فِي العَالَمِ الرُّوحَانِي وَالجُثْمَانِي أَعْلَا مِنْهَا رُتْبَةً، وَلَا أَشْرَفَ مِنْهَا نِسْبَةً، وَلَا أَكْرَمَ مِنْهَا مَنْزِلَةً لَدَى اللهِ وَوَسِيلَةً، وَلَا أَرْفَعَ مِنْهَا مَكَانَةً وَفَضِيلَةً، وَلَا أَثْبَتَ مِنْهَا حُجَّةً، وَلَا أَسْخَى مِنْهَا مُهْجَةً، وَلَا أَطْهَرَ مِنْهَا دِينًا، وَلَا أَصَحَّ مِنْهَا يَقِينًا، فَقَدْ أُعْطِيَتْ مَا لَمْ يُعْطَ غَيْرُهَا مِنَ (150) التَّصَرُّفِ فِي المَوَادِّ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، وَالمَسَائِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ، وَبِوَاسِطَتِهَا تَعَبَّدَ العَالَمُ البَعْدِيُّ وَالقَبْلِيُّ، وَالفَرْعِيُّ وَالأَصْلِيُّ، وَبِبَعْثَتِهَا صَلَحَ أَمْرُ الدِّينِ وَاسْتَقَامَ، وَنَزَلَ الوَحْيُ الكَامِلُ مِنْ حَضْرَةِ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، فَتَزَاحَمَتْ أَمْلَاكُ الدَّوَائِرِ عَلَى سَمَاعِهِ وَكَذَا خَوَاصُّ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَجَمِيعُ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالرُّسُلِ الكِرَامِ، وَبِنُورِهَا نَظَرَ اللهُ إِلَى ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَكَوَّنَتْ طِينَتُهُ فِي أَشْرَفِ خِلْقَةٍ وَأَحْسَنِ قِوَامٍ، وَقُبِلَتْ تَوْبَتُهُ وَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ وَسَجَدَتِ المَلَائِكَةُ لِنُورِهِ الَّذِي ظَهَرَ فِي غُرَّتِهِ حِينَ كَانَ طِينَةً بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ المَلِكِ العَلَّامِ.

فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ الأَجِلَّةِ العِظَامِ وَصَحَابَتِهِ نُجُومِ الاقْتِدَاءِ وَمَصَابِيحِ الظَّلَامِ، صَلَاةً تَحْفَظُنَا بِهَا مِنْ سَوْرَةِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ وَتَجْعَلُهَا لَنَا ذَخِيرَةً نَجِدُ بَرَكَتَهَا عِنْدَ حُلُولِ القَبْرِ وَنُزُولِ الحِمَامِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَثِيرًا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

أَذْكَى مِنَ المِسْكِ رِيحًا طِيبَ نَكْهَتِهِ ❖ بَرٌّ حَلِيمٌ كَرِيمٌ كَاشِفُ الكُرَبِ
أَغَرُّ أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ❖ كَهْفُ الأَرَامِلِ لِلأَيْتَامِ خَيْرُ أَبِ
خَيْرُ الأَنَامِ وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ ❖ وَسَيِّدُ الخَلْقِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ (151)

أَمْثَالُهُ أَفْصَحَــتْ فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ ❖ بِالبَــــلاغَةِ وَالأَشْعَــارِ وَالخُطَبِ
وَلِلنَّبِيِّ عَلامَـــةٌ وَمُعْجِــزَةٌ ❖ قَدْ صَــحَّ بُرْهَانُهَا حَقًّا لِمُرْتَقِبِ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِـــمًا أَبَـــدًا ❖ عَلَيْهِ ثُمَّ الـرِّضَا عَنْ صَحْبِهِ النُّجُبِ

أَوْ تَقُولُ إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ المُحَمَّدِيَّةَ، الشَّرِيفَةَ الأَحْمَدِيَّةَ، قَدْ خَلَقَ اللهُ مِنْهَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ نَعِيمِ المُؤْمِنِينَ وَعَذَابِ الكُفَّارِ، وَخَلَقَ صُورَةَ ءَادَمَ نُسْخَةً مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، فَلَمَّا نَزَلَ ءَادَمُ مِنَ الجَنَّةِ ذَهَبَتْ حَيَاةُ صُورَتِهِ الرُّوحِيَةِ وَمَاتَتْ لِمُفَارَقَةِ عَالَمِ الأَرْوَاحِ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا كَانَ فِي الجَنَّةِ لا يَتَصَوَّرُ شَيْئًا فِي نَفْسِهِ إِلاَّ وَيُوجِدُهُ اللهُ تَعَالَى فِي حِسِّهِ، وَكَذَا جَمِيعُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا لَمْ يَبْقَ لَهُ ذَلِكَ لأَنَّ حَيَاتَهُ المُصَوَّرَةَ فِي الجَنَّةِ كَانَتْ بِنَفْسِهَا، وَحَيَاتُهُ فِي الدُّنْيَا بِالرُّوحِ فَهِيَ مَيِّتَةٌ لأَهْلِ الدُّنْيَا إِلاَّ مَنْ أَحْيَاهُ اللهُ تَعَالَى بِحَيَاتِهِ الأَبَدِيَّةِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِمَا يَنْظُرُ لِذَاتِهِ وَحَقَّقَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُ مِنَ القُدْرَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا مَا سَيَكُونُ لأَهْلِ الجَنَّةِ فِي (152) الدَّارِ الأُخْرَى، فَلا يَتَصَوَّرُ شَيْءٌ فِي نَفْسِهِ، إِلاَّ وَيُوجِدُهُ اللهُ تَعَالَى فِي حِسِّهِ، وَأَسْكَنَ اللهُ ءَادَمَ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا لأَنَّهُ رُوحُ العَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ إِذْ بِهِ نَظَرَ اللهُ إِلَى المَوْجُودَاتِ فَرَحِمَهَا وَجَعَلَهَا حَيَّةً بِحَيَاتِهِ فِيهَا، فَلَمْ يَزَلِ العَالَمُ الدُّنْيَوِيُّ حَيًّا مَا دَامَ هَذَا النَّوْعُ الإِنْسَانِيُّ فِيهَا، فَإِذَا انْتَقَلَ مِنْهَا هَلَكَتِ الدُّنْيَا وَالْتَحَقَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، كَمَا لَوْ خَرَجَتْ رُوحُ الحَيَوَانِ مِنْ جَسَدِهِ فَيَتَخَرَّبُ الجَسَدُ وَيَلْتَحِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَوْجَدَ هَذَا الوُجُودَ، أَنْزَلَ ءَادَمَ مِنَ الجَنَّةِ، فَكَانَ ءَادَمُ وَلِيًّا قَبْلَ نُزُولِهِ إِلَى الدُّنْيَا، فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الدُّنْيَا ءَاتَاهُ اللهُ النُّبُوءَةَ وَذَلِكَ لأَنَّ النُّبُوءَةَ تَشْرِيعٌ وَتَكْلِيفٌ، وَالدُّنْيَا دَارُ التَّكْلِيفِ بِخِلافِ الجَنَّةِ فَإِنَّهُ كَانَ بِهَا وَلِيًّا لأَنَّهَا دَارُ الكَرَامَةِ وَالمُشَاهَدَةِ وَتِلْكَ هِيَ الوِلايَةُ وَلَمْ يَزَلْ ءَادَمُ نَبِيًّا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ ذُرِّيَتُهُ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا أَمَرَهُ اللهُ، وَكَانَتْ لَهُ صُحُفٌ أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ فَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْ أَوْلادِهِ قِرَاءَةَ تِلْكَ الصُّحُفِ ءَامَنَ بِهِ بِالضَّرُورَةِ، لِمَا فِيهَا مِنَ البَيَانِ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّهُ مُتَأَمِّلٌ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ (153) مِنْ ذُرِّيَتِهِ وَمَنِ اشْتَغَلَ بِلَذَّاتِهِ عَنْ تَعَلُّمِ قِرَاءَةِ تِلْكَ الصُّحُفِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ءَالَتْ بِهِ ظُلْمَةُ الغَفْلَةِ إِلَى الغُرُورِ بِالدُّنْيَا وَءَالَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الإِنْكَارِ وَعَدَمِ الإِيمَانِ بِمَا فِي الصُّحُفِ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهَؤُلاءِ هُمُ الكُفَّارُ ثُمَّ لَمَّا تُوُفِّيَ ءَادَمُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ افْتَرَقَتْ ذُرِّيَتَه، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِقُرْبِ ءَادَمَ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ تَصَوَّرَ شَخْصًا مِنَ الحَجَرِ عَلَى صِفَةِ ءَادَمَ لِيَحْفَظ حُرْمَتَهُ بِالخِدْمَةِ لَهُ وَلِيُقِيمَ نَامُوسَ المَحَبَّةِ بِمُسَايَرَةِ شَخْصِهِ عَلَى الدَّوَامِ لَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُقَرِّبًا لَهُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِدْمَةَ ءَادَمَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ كَانَتْ مُقَرِّبَةً إِلَى اللّٰهِ فَظَنَّ أَنَّهُ لَوْ خَدَمَ شَخْصَ ءَادَمَ كَانَ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَبِعَتْهَا طَائِفَةٌ مِنْ بَعْدِهَا فَغَلَوْا فِي الخِدْمَةِ فَعَبَدُوا الصُّورَةَ نَفْسَهَا، فَهَؤُلَاءِ هُمْ عَبَدَةُ الأَوْثَانِ، ثُمَّ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى القِيَاسِ بِعُقُولِهِمْ فَرَفَضُوا عِبَادَةَ الأَوْثَانِ وَقَالُوا: الأَوْلَى أَنْ نَعْبُدَ الطَّبَائِعَ الأَرْبَعَةِ لِأَنَّهَا أَصْلُ الوُجُودِ إِذِ العَالَمُ مُرَكَّبٌ مِنْ حَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ وَيُبُوسَةٍ وَرُطُوبَةٍ فَعِبَادَةُ الأَصْلِ مِنْ عِبَادَةِ الفَرْعِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الطَّبَائِعِيُّونَ (154) انْتَهَى مَا مَسَّتْ إِلَيْهِ الحَاجَةُ مِنْ هَذَا المَعْنَى بِاخْتِصَارٍ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الطِّينَةَ الآدَمِيَّةَ الجَلِيلَةَ القَدْرِ السَّنِيَّةَ قَدْ خَلَقَهَا اللّٰهُ بِيَدِهِ فَشَرَّفَ قَدْرَهَا وَعَظَّمَهَا، وَأَعَزَّ أَمْرَهَا وَفَخَّمَهَا وَاحْتَرَمَهَا، وَجَعَلَ حُرُوفَ اسْمِ الجَلَالَةِ تُشِيرُ إِلَى ظُهُورِ مَزِيَّتِهَا، وَرِفْعَةِ مَكَانَتِهَا لَدَى اللّٰهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهَا،كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ العَارِفِينَ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ فِي اسْمِ الجَلَالَةِ أَرْبَعَةَ أَحْرُفٍ: أَلِفٌ وَلَامَانِ وَهَاءٌ، فَالأَلِفُ تُشِيرُ إِلَى تَأْلِيفِ قُلُوبِ بَنِي ءَادَمَ عَلَى التَّوْحِيدِ،

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ﴾،

وَاللَّامُ الأُولَى تُشِيرُ إِلَى المُلْكِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ﴾،

وَاللَّامُ الثَّانِيَةُ تُشِيرُ إِلَى المَلَكُوتِ،

﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾،

وَالهَاءُ تُشِيرُ إِلَى إِحَاطَةِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ وَالقُدْرَةِ بِالمُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، وَحَيْثُ كَانَتِ الحُرُوفُ أَشْبَاحًا وَالمَعَانِي لَهَا أَرْوَاحًا وُضِعَتِ الحُرُوفُ لِأَجْلِ المَعْنَى لَا المَعْنَى لِأَجْلِ الحُرُوفِ، فَكَانَ الأَلِفُ هُوَ قُطْبَ الحُرُوفِ كَمَا كَانَ ءَادَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُطْبَ الآدَمِيِّينَ، وَأَصْلُ الأَلِفِ نُقْطَةٌ ثُمَّ نَزَلَتْ كَمَا نَزَلَ ءَادَمُ مِنَ المَلَإِ الأَعْلَا إِلَى أَرْضِ

الخِلافَةِ فَصارَتْ أَلِفًا وَالهَمْزَةُ مِنْهُ بِمَثَابَةِ حَوَّاءَ مِنْ ءَادَمَ وَسَائِرُ (155) الحُرُوفِ مِنْهُمَا تَوَلَّدَتْ كَبَنِي ءَادَمَ فَالمَنْقُوطَةُ بِمَثَابَةِ الإِنَاثِ، وَاليَابِسَةُ بِمَثَابَةِ الذُّكُورِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الخَبَرِ أَنَّ أَصْلَ الحُرُوفِ نُقْطَةٌ مِنَ النُّورِ نَظَرَ إِلَيْهَا البَارِي سُبْحَانَهُ بِالهَيْبَةِ فَسَالَتْ وَتَضَعْضَعَتْ فَصَارَتْ أَلِفًا فَكَانَتِ النُّقْطَةُ كَنْزًا لَمْ تُعْرَفْ فَأَنْزَلَهَا اللّٰهُ تَعَالَى لِتُعْرَفَ بِالحُرُوفِ، وَتُعْرَفُ الحُرُوفُ بِهَا، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الحُرُوفَ أَسْرَارٌ أَوْدَعَهَا اللّٰهُ فِي ءَادَمَ وَذُرِّيَّتِهِ فَجَرَتْ بِهَا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ سَائِرُ اللُّغَاتِ، ثُمَّ لِلْحُرُوفِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ فَظَاهِرُهَا الأَسْمَاءُ، وَبَاطِنُهَا الصِّفَاتُ، وَحَدُّهَا الشُّهُودُ، وَمَطْلَعُهَا الذَّاتُ، وَالكُلُّ أَصْلُهُ النُّقْطَةُ، وَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ النُّقْطَةِ عَلِمَ سِرَّ الأَلِفِ، وَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ الأَلِفِ عَلِمَ سِرَّ اللاَّمِ، وَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ اللاَّمِ عَلِمَ سِرَّ الهَاءِ، وَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ الهَاءِ عَلِمَ سِرَّ الإِحَاطَةِ، وَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ الإِحَاطَةِ غَطَّهُ الفَيْضُ الأَقْدَسُ مِنْ أَنْوَارِ سُبُحَاتِ المُحِيطِ، قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ لِلّٰهِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنَ النُّورِ، لَوْ كُشِفَ مِنْهَا وَاحِدٌ لاَحْتَرَقَ الكَوْنُ مِنْ نُورِ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ»،

ثُمَّ اعْلَمْ (156) أَنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الحُرُوفِ مَعْنًى غَرِيبًا، وَسِرًّا عَجِيبًا، تُكْشَفُ بِهِ مُعْضِلاَتُ الخُطُوبِ، وَيُنَالُ بِهِ مِنَ اللّٰهِ المَطْلُوبُ، لأَنَّهَا أَبْوَابٌ لِلْحَضْرَةِ، وَأَسْبَابٌ لِلْقُرْبَةِ، وَأَصْلُهَا نُقْطَةٌ، وَمُنْتَهَاهَا إِحَاطَةٌ، فَالنُّقْطَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَرْكَزِ قُطْبِ دَائِرَةِ الوُجُودِ، وَفِيهَا عِبَارَةُ إِثْبَاتِ المَوْجُودِ، المُسْتَحِيلِ فِي حَقِّهِ العَدَمُ وَالحُدُوثُ وَهَذِهِ النُّقْطَةُ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالجَوْهَرِ الفَرْدِ الَّذِي لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّحَيُّزُ وَالاِنْقِسَامُ، وَفِيهَا أَصْلُ المَدَدِ، وَإِلَيْهَا انْتَهَى العَدَدُ، فَالوُجُودُ أَصْلُهُ نُقْطَةٌ، وَالحُرُوفُ أَصْلُهَا نُقْطَةٌ، وَالآدَمِيُّ أَصْلُهُ نُقْطَةٌ، وَالعَقْلُ أَصْلُهُ نُقْطَةٌ، ثُمَّ اسْتَمَدَّ الاِنْفِعَالَ إِلَى مَا لاَ غَايَةَ لَهُ وَلاَ مِثَالَ، قَالَ اللّٰهُ العَظِيمُ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾،

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾،

فَبِهَذِهِ الفَضِيلَةِ كَانَ بَرْزَخًا جَامِعًا لِلْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ الصِّفَةِ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ

الاتِّصَافُ فَهُوَ غَيْرُ مَوْقُوفٍ وَلاَ مَجْرُودٍ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللّٰه: وَسِعَكَ الكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جُثْمَانِيَّتُكَ، وَلَمْ يَسَعْكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُ رُوحَانِيَّتُكَ، جَعَلَكَ فِي العَالَمِ المُتَوَسِّطِ بَيْنَ مُلْكِهِ وَمَلَكُوتِهِ لِيُعَلِّمَكَ (157) جَلاَلَةَ قَدْرِكَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّكَ جَوْهَرَةٌ تَنْطَوِي عَلَيْكَ أَصْدَافُ مَكْنُونَاتِهِ، فَأَنْتَ مَعَ الأَكْوَانِ مَا لَمْ تَشْهَدِ المُكَوِّنَ، فَإِذَا شَاهَدْتَهُ كَانَتِ الأَكْوَانُ مَعَكَ، فَالإِنْسَانُ مَجْمَعُ البَحْرَيْنِ: بَحْرُ النُّورِ وَبَحْرُ الظُّلْمَةِ، فَالنُّورُ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَالظُّلْمَةُ مِنَ الطِّينَةِ الجُثْمَانِيَّةِ، وَهُوَ بَرْزَخٌ بَيْنَ البَحْرَيْنِ، وَوَاسِطَةٌ بَيْنَ الوُجُودَيْنِ، أَعْنِي المُلْكَ وَالمَلَكُوتَ، وَلِذَا كَانَ يَعْبُدُ اللّٰه تَعَالَى بِجَمِيعِ عِبَادَةِ المَلَإِ الأَعْلَا وَجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ المَلاَئِكَةِ القَائِمَ أَبَدًا، مِنْهُمُ الرَّاكِعَ أَبَدًا، وَمِنْهُمُ السَّاجِدَ أَبَدًا، وَمِنْهُمُ الجَالِسَ أَبَدًا، وَمِنْهُمُ المُكَبِّرَ أَبَدًا، وَمِنْهُمُ المُسَبِّحَ أَبَدًا، وَمِنْهُمُ الدَّاعِيَ أَبَدًا، فَهُوَ (158) جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ العِبَادَةِ السَّبْعَةِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ بِذَلِكَ بَرْزَخًا بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَكَانَ هَيُولَى قَابِلاً لِلْمَوَارِدِ مُسْتَمِدًّا بِالعَوَائِدِ، مَطْلُوبًا بِالإِقْرَارِ، مَظْهَرًا لِلأَسْرَارِ، لِأَنَّهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ عَلَيْهِ نُسِبَ فِي الحَقِيقَةِ إِلَيْهِ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَلَّفَ فِيهِ بَيْنَ الأَضْدَادِ وَجَمَعَ صِفَةَ العَالَمِينَ فِيهِ وَزَادَ، وَجَعَلَهُ مَعْدِنًا لِلْعَقْلِ وَالمَعْرِفَةِ، وَالتَّوْحِيدِ وَالأَسْرَارِ وَالمَحَبَّةِ وَالزُّلْفَةِ، بَلْ هُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَالبَرْزَخُ الجَامِعُ القَوِيمُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، فَبِالنُّقْطَةِ أَلَّفَهُ، وَبِالأَلِفِ وَصَّلَهُ، وَبِالوُصُولِ جَمَعَهُ (159) وَبِالجَمْعِ فَضَّلَهُ، وَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ خَلْقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ مِنْ نُقْطَةٍ، وَيُحْيِيهِمْ بِنَفْخَةٍ، وَأَنْشَدُوا:

جَلاَلُكَ يَا قُدُّوسُ لَيْسَ لَهُ حَـــدُّ ❖ كَذَاكَ صِفَاتُ القُدْسِ مَا إِنْ لَهَا عَدُّ

تَعَالَيْتَ يَا بَارِي الخَلِيقَـــةِ كُلِّهَا ❖ وَمِنْ وَصْفِ عَلْيَاكَ الجَلاَلَـةُ وَالمَجْدُ

قَضَاؤُكَ مَحْتُومٌ وَأَمْرُكَ نَافِـــذٌ ❖ وَمَا شِئْــتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدُّ

لَكَ المَثَـــلُ الأَعْلَى وَكُلُّ مُعَبَّدٍ ❖ كَفَاهُ اعْتِزَازًا أَنْ يَقُـــولَ لَكُمْ عَبْدُ

انْتَهَى السِّفْرُ الثَّامِنُ مِنْ إِعْدَادِ الصَّلَوَاتِ، وَيَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ السِّفْرُ التَّاسِعُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ مِنَ الذَّخِيرَةِ، تَأْلِيفُ الإِمَامِ الهُمَامِ سَيِّدِنَا المَعْطِي بْنِ العَارِفِ بِاللّٰهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّالِحِ قَدَّسَ اللّٰهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي الجِنَانِ، ءَامِينَ. (160)



الشيخ محمد المعطى ابن الصالح الشرقي